صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية تصدر في دمشق

كانون الثاني

١٩٧٦

ملحق العدد ١

دمشق - ص٠ب (٢٥٧٠) هاتف ٢٢٩٩٨٤

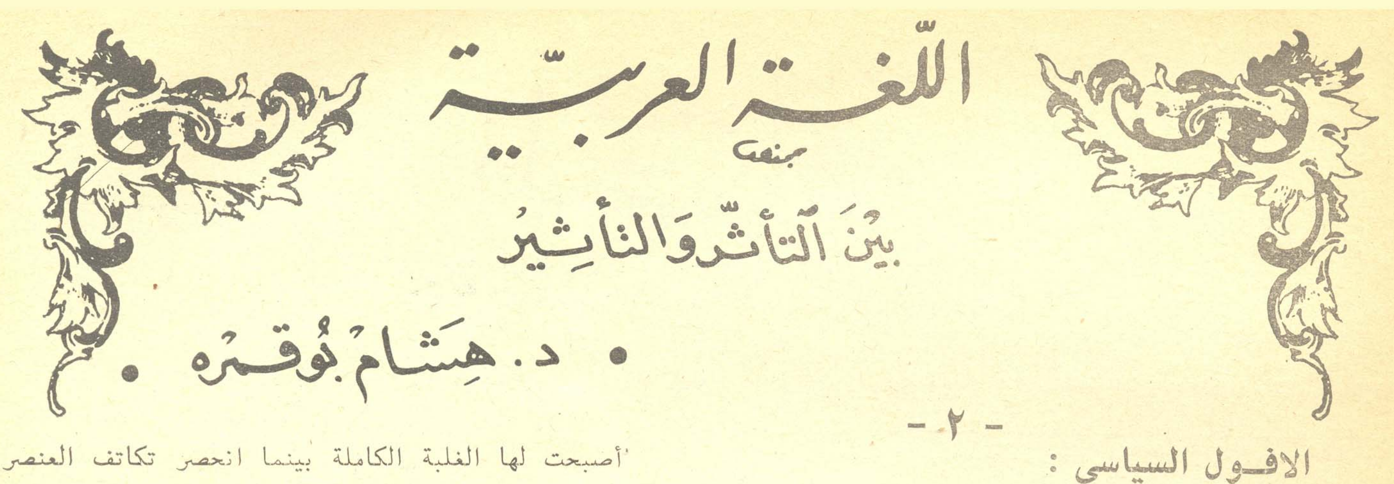
اعتراف وعهد

وينطوي عام من حياة هذه المجلة لتستقبل عاما جديدا آخر ، وهي أكثر ايمانا برسالتها واقوى عزيمة في الاستمرار على اداء هذه الرسالة ، لم يثننا جهد متواصل وعمل دائب دائم ، فذاك شيء ألفناه ٠

اذا كنا نستقبل هذا العام الجديد ، بنفس راضية مطمئنة وشعور قوي بالواجب ، فما ذلك الا لما لمسناه من المسؤولين ، وما ابدوه من كريم العطف نحو المجلة ، وجميل بنا ان نعترف بالجميل ، وجدير بنا ان نقف موقف الشاكر المقدر ، من اخواننا الذين رأوا في ظهور هذه المجلة ، ضرورة لكشف الحجاب عن أدب هذا البلد ، ومواهب ادبائه ومفكريه وشعرائه ٠ ونخص بالشكر الاستاذ أحمد اسكندر أحمد وزير الاعلام ، الذي عمل على تثبيت دعائم هذه المجلة والنهوض بها ٠ لتظل صورة مشرقة الى جانب شقيقاتها المجلات العربية في هذا القطر، تعكس منجزات هذا العهد الخير في مجالات الثقافة والفكر والفن ٠

وليس أمام هذا التشجيع الكريم الذي تفضل به السيد وزير الاعلام الا أن نأخذ على أنفسنا عهدا، لتكون هذه المجلة ارقى واسمى ، وان تعمل ، ما وسعها العمل ، على كشف النقاب عن مواهب ادباء هذا البلد وشعرائه ، وان تكون ملتقى الاقلام الخيرة على امتداد وطننا العربي الكبير ٠

رئيس التحرير



اللغة العربية بين التأثر والتأثير

• د. هشام بوقمره •

- ٢ -

الافول السياسي :

لقد بقيت اللغة العربية لغة العلم والحضارة طوال الفترة التي بقي السلطان الاسلامي فيها متماسكا حول مركز واحد نافذ ، بل حتى طوال الفترة التي كانت فيها السلطة المركزية مجرد رمز جماعي يعبر عن الانتماء الى دولة واحدة أو فلك فكري واحد • وقد وصف البارون كارادوفو هذه الفترة بقوله : ان العرب ارتفعوا بالحياة العقلية والدراسة العلمية الى المقام الاسمى في الوقت الذي كان فيه العالم المسيحي يناضل نضال المستميت للانعتاق من أحابيل البربرية وأغلالها ، ووصلوا الى قمة نشاطهم – الذي استمر حتى القرن الخامس عشر – في القرنين التاسع والعاشر – ميلادي – • ومن القرن الثاني عشر فصاعدا كان الشرق ومراكش محط انظار كل غربي يميل الى العلم ويتذوقه في هذه الفترة شرع أبناء أوروبا يترجمون آثار العرب كما كان العرب قد ترجموا آثار الاغريق وهكذا كانوا همزة الوصل بين الثقافة القديمة والمدنية الجديدة عندما عادت النفس الانسانية في عهد الاحياء العلمي لتمتلي ثانية بحب المعرفة ولتنتبه بوميض من العبقرية العلمية •

لقد كان من نتائج الهجرة الاسلامية من الجزيرة أن تكون عالمان متداخلان : العالم الاسلامي الذي يضم العالم العربي • وليس هذا الاخير الا المظهر الملموس على المستوى الجماعي والحضاري لحركة التعريب التي كان عمقها وامتدادها يتناسب تناسبا عكسيا مع عمق وامتداد الحدود الاسلامية •

وقد خضعت حركة التعريب الى عاملين هما نشر اللغة العربية وانتشار العنصر العربي ، ولكنهما اختلفا في قوة الاثر وفي اتساع المدى • فالعامل الثاني يخضع للظروف الاقتصادية للبلدان المستوعبة وللعوائق الطبيعية ، اما انتشار اللغة العربية فلم يخضع لهذه القيود ، ولذلك أصبحت لها الغلبة الكاملة بينما انحصر تكاثف العنصر العربي في مجال أضيق •

واذا كان العالم الاسلامي قد امتد الى الهند والصين والى اقصى حدود افريقية والبلاد الاسبانية ، فان العالم العربي قد ظل محصورا في البلاد التي بلغ فيها التعريب من العمق درجة نجمت عنها ثلاث نتائج دائمة : سيادة اللغة العربية واتخاذها لغة قومية واقتباس العادات العربية ومناهج التفكير واستيطان جماعات كبيرة من العرب وامتزاجهم بأهل البلاد •

ان هذا يبرز لنا على المستوى اللغوي ، وجود دائرتين متداخلتين سوف يكيف نموهما وعلاقاتهما المتبادلة مصير اللغة العربية • فأما الدائرة الاولى الداخلية فانها تضم البلدان التي ارتبط مصيرها الثقافي والحضاري بمصير اللغة العربية لانها استعربت جنسيا ولسانيا بشكل كامل ، واما الدائرة الخارجية أو المحيطية ، فهي دائرة البلدان الاسلامية التي كانت تربطها باللغة العربية علاقات روحية وفكرية • ففي الوقت الذي كان فيه العالم المتعرب يعيش انسجاما كاملا بين لغته اليومية ولغته الفكرية نجد أن العالم الاسلامي الآخر يعيش نوعا من الازدواجية تختلف درجاتها حسب البعد أو القرب من مركز التأثير اللغوي العربي • فبلاد فارس مثلا كانت حتى القرن الرابع للهجرة تكاد تكون اللغة العربية فيها ، لغة يومية الا انها ابتداء من القرن الخامس اخذت تنحسر الى مستوى اللغة الفكرية الطبقية ، أما في بلاد ما وراء النهر ، فان الوضع كان أقل عمقا بكثير •

ان تحليل العلاقات السياسية – أو الدستورية كما قد يقال اليوم – بين هاتين المجموعتين ، ولو أننا لا نستطيع ذلك الا بشكل خاطف ، يؤدي الى ابراز العناصر التالية :

١ – منذ القرن الخامس الهجري اخذ التفكك

الذي دب من قبل الى جسم السلطة المركزية الاسلامية ، يزداد عمقا وتوسعا وكان اول ذلك انتقال النفوذ الفعلي من يد العناصر العربية الى عناصر اخرى بحيث وصل الخليفة العربي النسب الى مجرد الرمز الجماعي الذي لا يأمن على نفسه . وتكونت لذلك امارات في انحاء العالم الاسلامي ودويلات ، والكثير من بلاطاتها اصبح لايستعمل اللغة العربية في مخاطباته العادية بل أحيانا في مراسلاته الرسمية .

٢ ـ ثم ان هذا الوضع الانفصالي على مستوى (السياسة الداخلية) ـ لان اكثر الامارات كانت تدين بالسلطة الاسمية للخليفة ـ أدى الى انبعاث الحركات القومية المبنية على حركات الاحياء اللغوي وهذا الامر واضح خاصة بالنسبة للغة الفارسية .

٣ ـ وفي نفس الوقت اصبح العالم الاسلامي مهاجما (بالفتح) بعد أن كان المهاجم ، لقد أفلت زمام المبادرة العسكرية من يديه ، وبدأت النصرانية وثبتها على حسابه فمن جهة كانت الحروب الصليبية تنقض على تخوم بلاد المشرق ، ومن جهة أخرى ، كانت النصرانية المسعورة في حملتها الانتقامية ، تستعيد الاجزاء الاسلامية في البلاد الاسبانية . واذا كانت الحروب الصليبية لم توفق في زحزحة الاسلام عن مواقعه بشكل نهائي من أي جزء من اجزائه ، فان عملية الاستعادة المسيحية في اسبانيا قد أفلحت في القضاء نهائيا على السلطة العربية الاسلامية .

والنتيجة الرئيسية لتفكك التماسك السياسي في بلاد المشرق والمغرب من جهة ، وسقوط الحكم العربي الاسلامي بصورة نهائية في الاندلس من جهة ثانية ، تبدو ذات اتجاهين متناقضين :

ـ ففي بلاد المشرق لم يؤد أفول السلطة المركزية العربية الى تناقص جدي في النفوذ اللغوي العربي .

ـ أما في بلاد الاندلس ، فان سقوط السلطة العربية الاسلامية الذي اقترن بجلاء العناصر المستعربة ، وتغيير كامل في الاطار الروحي بانتقاله من الاسلام الى المسيحية ، قد ادى الى القضاء على النفوذ اللغوي العربي .

ويمكن تفسير هذا الوضع بشكل آخر ، حيث نلاحظ بالجملة أن سقوط النظام الاسلامي قد تبعه سقوط النفوذ اللغوي العربي ، بينما سمح بقاء الشكل الاسلامي للحكم ، ولو لوقت ما ، باستمرار الوجود اللغوي العربي في بلاد المشرق .

والظاهرة العامة التي رافقت هذه العلاقة الجديدة بين اللغة العربية والسلطان السياسي ، تمثلت في احتفاظ اللغة العربية بمركزها المؤثر نتيجة لاحتفاظها بالسلطان الحضاري ، ونظرا لبقاء فكرة الامة ماثلة في الضمائر بالرغم من تفككها الواقعي ، بسبب ارتباطها المتين بالدين .

ان كثيرا من الدارسين ما يزالون يتوهمون حتى الان ان الفترة التي تسمى بالعصور الوسطى تارة وبعصور الانحطاط تارة أخرى ، كانت فترة محل فكري وانتكاس حضاري . والذي أوقعهم في هذا الوهم انطلاقهم الدائم من المعطيات السياسية ، وتغاضيهم عن المعطيات الحضارية ، كأنهم يتصورون ان متانة مركزية الحكم ترتبط طرديا ب « العصر الذهبي » للفكر . والعرب والمستشرقون هم في هذه النظرة سواء ، ولكن الحقيقة المتأكدة تدل على ان هذه الفترة شهدت اعظم اتساع للنفوذ الحضاري واللغوي العربي :

فعلى مستوى الرقعة الداخلية لنفوذ اللغة العربية ، تكونت المدارس التي منها انطلقت نواة تكوين الجامعات الاوروبية . وأولى هذه المدارس هي تلك التي أنشأها الوزير السلجوقي نظام الملك ، وكانت أهمها نظامية بغداد التي عرف فيها العالم الاسلامي لاول مرة ، نظام الاقامة الداخلية ، ومنح الدراسة المدفوعة للطلاب ، والمشاهرات المخصصة للاساتذة ، واقامة التعليم طبقا لاهداف مرسومة ووفقا لقواعد مضبوطة .

ـ وعلى مستوى تسرب التأثير الى الخارج ، نجد من جهة أولى ان اللغة العربية قد أثرت في كل اللغات كالفارسية ، ثم ساهمت بدرجة باهرة في تكامل لغات أخرى كالتركية ، ونجد من جهة ثانية انها قد نقلت الى الغرب العلم والحضارة عن طريق المدارس التي كانت جسرا لعبور المعارف والتي انتشرت في الاندلس وصقلية وسورية . ولم يقف النقل هنا عند المحتوى العلمي المجرد ، بل تجاوزه ـ بالضرورة ـ الى الالفاظ والمصطلحات ، فدخلت في لغات الغرب مفردات عربية كثيرة ، لا يزال بعضها متداولا حتى اليوم .

الا ان هذا السلطان الحضاري نفسه قد بدأ يتآكل ابتداء من سقوط بغداد في أواسط القرن السابع للهجرة. لقد كانت هجمات المغول والتتر على بلاد الاسلام نكسة حضارية كبرى في تاريخ العالم، فقد أدت الى مقتل آلاف العلماء في كل الامصار، واحراق المكتبات، واجتياح البلدان، وانتشارالذعر والخوف، وتوطد نفسية جديدة، انطلاقا من ذلك الذعر، تقوم على الاتكالية والاستسلام والتملق خشية الموت. لقد انطفأت تحت سنابك خيل الغزاة آلاف الشموع التي كان يمكن لها أن تواصل اضاءة طريق الانسانية، ودخل الفكر الاسلامي في غفوة طويلة، لم يزدها استيلاء الاتراك على الحكم الا شخيرا.

أن انبعاث السلطة الاسلامية، ممثلة في السلطنة العمثانية لم يحرك من جديد العلاقة الجدلية التي رأيناها بين اللغة العربية والسلطة، وذلك لان السلطنة العثمانية مالت بالعكس الى تثبيتاللغة التركية ونشرها، وما «الخلافة التركية الا استعمال كهنوتي للاسلام زاد من توطيد علاقة الدين بالدولة لاسباب سياسية، لكنه فصل الدين عن اللغة لاسباب حضارية وعنصرية.

لما بدأت النهضة الحديثة تتسرب من أوروبا الى العالم العربي، منذ مطلع القرن الثامن عشر، كانت الاقطار العربية في مجملها ترزح في أغلال الجهل وأصفاد الاحتلال التركي. وكانت قد ورثت من فترة الانحطاط التيمرت بها، اندثارالنشاط الفكري وانتكاس النمو الحضاري وانحراف الفكر الاسلامي الذي اثقل بالخرافات والاساطير وقبع في زوايا الشعوذة والاتكالية. كما تسربت الى المجتمع العربي مجموعة من القيم والمعطيات الماورائية التي تتلاءم والمنشأ الآري للادارة التركية وللسلاطين العمثانيين وأهدافهم السياسية.

وقد نشأ عن ذلك ان اللغة العربية قد انحسرت عن الحياة العامة فأصبحت الفصحى في أغلب الاحوال امتياز أقلية ذات علم بشؤون الدين أو متكئة على بعض مصادر التراث تجترها، بل انها أصبحت بوجه عام مظهرا من مظاهر الارتباط بالماضي كالمخطوط الثمين أو المنارة الاثرية.

مرحلة النهضة :

وتباعدت الشقة بين اللهجات العربية واتجهت كل واحدة الى النمو داخل حلقة منعزلة خاضعة لظروفها الداخلية ولعلاقاتها السياسية والحضارية بعد أن نضب المورد الذي كان يغذيها وتوقف عن التدفق في شرايينها بما كان يحمله لها من الانتاج اللغوي الموحد لها عضويا. فالتوت الاساليب وطغت العجمة وردأ التعبير.

وأدى هذا الوضع الى تخلف اللغة العربية عن السير في قافلة ركب الحضارة الصناعية وما أدت اليه من اختراعات علمية ونمو في المعارف الرياضية وتنوع في المدارك الانسانية وفي المذاهب الفلسفية والاقتصادية.

ثم كانت عملية الغزو الاستعماريالتي بدأت تكتسح البلاد العربية ابتداء من منتصف القرن التاسع عشر، فهوجمت اللغة العربية في عقر دارها بلغات المستعمرين ومستوياتهم الحضارية ودخلت بذلك مسابقة غير متكافئة.

الا أن اللغة العربية، مع ذلك، قد بقيت موجودة بهياكلها وطاقاتها مبرهنة على انها تحمل طاقة البقاء في ذاتها، اذ تكاد تكون اللغة العربية الفصحى، بهيكلها المتكامل القائم اليوم،من أقدم اللغات الحيةالموجودة في العالم ان لم تكن أقدمها على التحقيق. فالاطار اللغوي العربي بالشكل الذي نستعمله اليوم، وبكامل النسق النحوي والصرفي المتداول، والمناخ الفكري الذي يتحمله ويوحي به، يعود الى حوالي عشرين قرنا.

ولعل الذي ساعد على هذه الاستمرارية الفذة، هو أن اللغة العربيةوان كانت لم تواكب التقدم الصناعي فانها واكبت في كل الاقطار العربية حركة التحرر والاستقلال وكانت منطلقها ومصبها أحيانا، بل كانت في حالات عديدة، اللحمة النضالية التي تشد الطبقات الشعبية فيما بينها وتذكي فيها نفسية « الغير » الاصيل بالنسبة للشعوب المستعمرة الدخيلة، وذلك لارتباطها عند البعض بالعامل الدينيوعندالبعض الآخر بالعامل القومي.

ولذلك فانحركة النهضة العربية العامة قد ارتبطت عند الأغلبية الساحقة بحركة احياء لغوي، اعتبرت عند الكثيرين، وخاصة عند الفئة المسيحية العربية التيساهمت فيها بقسط كبير، على انها أفضل وسيلة لمنع تيار المسخ الذي يهدد الشخصية العربية. وقد سارت هذه الحركة الاحيائية في اتجاهين، توضحافي آخر القرن التاسع عشر، احدهما تقليدي محافظ، والآخر تجديدي متسامح.

وقد ارتبط الاتجاه الاول بحركة الاصلاح واعتمد العودة الى الاصول القومية ، والنسج على منوال كبار الكتاب وعلماء اللغة الذين تناولوا في العصور السياسية ، تقعيد اللغة واصلاح الاخطاء الشائعة ووضع قواعد المعرب وأحكامه • ومن بين هؤلاء الشيخ ابرهيم اليازجي الذي كتب سلسلة من المقالات في أغلاط المولدين جرى فيها على طريقة الحريري في كتابه «درة الغواص» • وقد نذكر منهم على سبيل المثال سليم الجندي ، مؤلف «اصلاح الفاسد في لغة الجرائد» • ورشيد عطية ، مؤلف «الدليل في مرادف العامي والدخيل» وأسعد داغر صاحب «تذكرة الكاتب» •

أما الاتجاه الثاني فكان أصحابه من المتأثرين بالآداب الغربية والمترشدين بها ، فحاولوا تخليص اللغة من قبضة المعاجم والمطولات ، ودعوا الى معالجة أوضاعها على انها كائن حي متطور ، وانشأوا الجرائد والمجلات لنشر هذه المواقف وترويجها بين الناس ، فكان منهم جرجي زيدان صاحب «الهلال» ويعقوب صروف ، منشيء « المقتطف » وأحمد فارس الشدياق منشيء «الجوائب» ، وقد عبر عن رأيهم جبر ضومط ، استاذ اللغة العربية في جامعة بيروت الامريكية ، حين كتب في «المقتطف» سنة ١٩٤٢ : «ان التقيد بالألفاظ والتراكيب القديمة ، مخالف أحيانا للبلاغة ولناموس الترقي ، وليس الخروج عنه بمفسد للغة ، بل ان بقاءنا على تحدي البلاغة الجاهلية وتوخيها في كتاباتنا لا يجوز لنا ، ولا يكون بلاغة الا اذا كانت عقولنا ومدركاتنا وبالتالي عاداتنا ومالوفاتنا الحسية والادبية شبيهة تمام الشبه بما كانت عليه عقول الجاهلية ومدركاتها» •

وهذان الاتجاهان ليسا في الحقيقة متضاربين ، بل هما ، بوجه ما ، متكاملان • فالأول يمثل السنة المعتادة في الحركات الاصلاحية المنبعثة من الانطلاق من الماضي ، والثاني يمثل الخطوة الموالية التي تأتي من تفتح الحركة الأولى وتأثرها بالعوامل الخارجية •

ولقد وجد الاتجاهان الالتقاء والتكامل ، في المحاولات الجماعية التي استهدفت اصلاح اللغة العربية ، والتي تأتي على رأسها المجامع العملية • وقد كانت نواة هذه المجامع ، مؤسسات وجمعيات ونواد تألفت في لبنان وسورية ومصر ، لخدمة الاحياء اللغوي ، ثم تطور بعضها الى مجامع بالشكل العلمي المعتاد اليوم • وهكذا فان « الشعبة الاولى للترجمة والتأليف» التي انشئت في سورية عام ١٩١٨ ، قد تحولت الى «ديوان المعارف» ، ثم في ١٩١٩ الى المجمع العلمي العربي • ثم انشيء في مصر مجمع اللغة العربية عام ١٩٣٢ وانشيء المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٤٧ • واذا كان كل واحد من هذه المجامع قد توخى طريقة عمل خاصة ، أو وجه عنايته نحو وجه من أوجه النشاط الاحيائي اللغوي ، فانها جميعها تلتقي في بعض الأهداف العامة التي عملت على انشائها والتي لا تزال لحد الآن تسيطر على أشغالها ، ومن بينها معالجة قضية الترجمة والتعريب ، وتوفير المصطلحات العلمية ، والغاء الاعتماد على الكتب الأجنبية ، لأنها تضعف حركة التصنيف العلمي باللغة العربية • والظاهرة الجديدة التي رافقت نشاط المجامع العلمية هي أن اللغة العربية عرفت ، لأول مرة في تاريخها ، وجود هيئة رسمية جماعية تحكم فيما يجوز وما لا يجوز من الاستعمالات اللغوية •

والباحث الذي يريد تقييم هذه الأهداف العامة يلاحظ انها تنصب كلها في موضوع التعريب ونقل العلوم من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية • وهو بلا شك ، سيجد شبها كبيرا في المنطلقات بين هذه الحركة الحديثة والحركة الضخمة التي كانت قد حصلت في العصر العباسي الأول • ولكننا هنا ، لا بد أن ننتبه الى بعض المفارقات الجوهرية التي بدونها لا يمكن الخوض في تقييم موضوعي للمجهودات العربية الحديثة •

وأولى هذه المفارقات ، أن عملية النقل الأولى قد نصبت على نتاج علمي بلغ نهايته ووصل الى مجموعة من المعطيات النظرية الجاهزة التي جاء العرب فنقلوها الى لغتهم ، ثم انطلقوا منها في عملية تطويرية وتكميلية وفي

بعض الأحيان ، تطبيقية • أما عملية النقل الحالية فانها تواجه وضعية علمية ، حركية ، تنمو كل يوم ، ويزداد اكتنازها النظري والتطبيقي ، فضلا عن أن جانبها العملي أكثر اتساعا وثراء من جانبها النظري البحت ، والجانب العملي لا يتطلب توفير المادة اللغوية الاصطلاحية فقط، وانما يتطلب أيضا توفير الاستثمارات ، وبناء المصانع والمعاهد ولو أخذنا مثلا على ذلك،لقلنا بأنه لا يكفي اليوم ترجمة المعلومات الطبية المتوفرةفيأمهات المراجع النظرية، وانما يجب أيضا متابعة ما سيجد فيها كل يوم ، وفينفس الوقتبناءالكليات المتخصصة والمستوصفات والمستشفيات•

والثانية تتمثل في أن حركة النقل الأولىقد اعتمدت على لغة كانت تتمتع بالسلطان السياسي،ولا توجد منافسة رسمية لها ، بينما اعتمدت الحركة الحديثة على لغة منهوكة القوى تحاول أن تنتصر في معجزتين ، الاولى ، استعادة كل امكانياتها اللغوية والتعبيرية ، والثانية ، البرهنة على قدرة هذه الامكانيات على استيعاب العلوم واستعمالها • وكانت أيضا ، ولا تزال ، تواجه المنافسة المسمومة التي تسلطها عليها اللغات الاجنبية في داخل نفس المدارس والكليات التي كان من المفروض أن تكون السلاح الوقائي المقاتل ، لحماية اللغة الأم ، لا وسيلة تركيز وتثبيت اللغات المنافسة لها•وآخرة هذه المفارقات،هي أن حركة النقل الأولى قد استندت الى مجتمع موحد سياسيا، وخاضع • ثقافيا ، الى سلطة مجموعة من مراكز النفوذ الثقافي المشعة ، تساندها عملية تفتح واسعة • وتحرك حر للمعلومات والمصطلحات • أما الحركة الحديثة فانها قد وجدت أمامها أمة عربية مفككة الاوصال تغتال طاقاتها الانتهازية الحاكمة ، وشعارات المصالح والاقليميات الضيقة • وتسيرها ارادات أجنبية • ترمي في كل لحظة • الى تأييد استعمارها الثقافي عن طريق الاستيطان اللغوي•

ولذلك،فان المجهودات التي بذلت سواء على مستوى الأفراد والعلماء اللامعين • أو على مستوى المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية لم تؤد الى النتائج المرجوة • بل اننا نجد بعض البلدان العربية تصاب بالانتكاس فيآمالها، والبعض الآخر يدخل مرحلة من التعثر والخبط •

ان فترة التعثر التي نشاهدها خاصة في أقطار المغرب العربي تسيطر عليها الملامح التالية :

أ – استمرار استعمال اللغات الاجنبية في كل مستويات التعليم تأثرا بأسباب سياسية واقتصاديةمعروفة ونظرا للارتباطات الثقافية لبعض الحاكمين ولست أدري كيف يمكن – مثلا – لوزير يستعمل الفرنسية في تفكيره وبيته وعلاقاته العامة ، أن يقوم بتطبيق التعريب في وزارته ، اللهم الا أن يسحق أنانيته أمام عمق الفناء في المطلب القومي •

ب – استمرار موجة التكون غير الأصيلفيالجامعات الاجنبية المبني لا على اعتبار اللغة الاجنبية وسيلة تعبيرية محدودة في نطاق العلم المتلقى وانما على اعتبارها أداة التبلور الروحي والثقافي ، مما يجعلنا ندور في حلقة مفرغة •

ج – سيطرة المصالح الطبقية على القضية اللغوية وذلك أن اللغة الاجنبية تنتهي حتما الى أن تصبح لغة أقلية ماسكة بمراكز السلطة ، وهذه الاقلية تنتهج أحد السبيلين ، فأما أن تحاول تعميم اللغة الاجنبية على حساب اللغة الام ، أي القيام بعملية مسخ متعمدة لتضمن استمرارية نفوذها السياسي والاقتصادي ، وأما أن تنكفىء داخل مصالحها الطبقية ، فتنتهي من العنصرية الثقافية الى العنصرية السياسية أي الفاشية •

اننا اذا سلمنا جدلا بأن اللغة العربية مصابة بورم خبيث فان الحل الناجح لا يكون الا باستئصاله جذريا وقطع كل موارد التنفس عنه ، اذ لن ينفع فيه تناول الاقراص المهدئة ولا الكي ولا الرقية •

ولكننا أيضا علينا الاعتناء بتفريق الاورام بعضها من بعض ، لان الورم الخبيث الحقيقي انما هو استمرار المنافسة المسمومة وغير المتكافئة بين اللغة الام واللغات الاجنبية •

وليس هذا العمل بعمل أفراد مصلحين ولا جماعات متحمسة ، وانما هو عمل سلطة ، أي ان اللغة العربية محتاجة اليوم ، ومرة أخرى ، الى «اموي» آخر «يفرضها في الدواوين» • وهكذا فان القضية اللغوية تنقلب فينهاية

المطاف الى قضية ممارسة للسيادة والى قضية تحرر سياسي وثقافي واجتماعي • أي انها تجد وجهها الحقيقي •

ان هذا التقييم العاجل لا يأخذ دلالته الحقيقية الا اذا حققنا • في مستوى البحث طبعا ، التفريق بين الاوضاع الخاصة لكل بلد عربي أو لكل مجموعة عربية • فتحسس المشكلة اللغوية لا ينطوي على نفس الدرجة من التأزم في سورية مثلا بالقياس الى الجزائر أو الى المغرب • غير أن هذا التفريق الذي تحتمه منهجية البحث ، يتضمن في حد ذاته أحد عوامل التشتت اللغوي الحالية • فقد أدى فقدان الرمز السياسي الواحد الى أن تنمو اللغة العربية في كل بلد بمعزل عنها في البلد الآخر ، فيصطدم قوم بمشكلة النمو اللغوي ، ويفضونها بطريقتهم ، ويصطدم آخرون بمشكلة الجهل اللغوي ، ويصابون أمامها بالتوقف • والمشكلة الحقيقية ليست في فقدان الرمز السياسي أو ضعف عقيدة الانتماء لدى البعض ، وانما في وجود ما يناقض ذلك ، واستمرار عادات موروثة عن عهود الانحطاط أو عهود الانتماء القبلي أو عصر السيطرة الاستعمارية ، والتي ترتكز على النظرة الاقليمية الضيقة حتى في القضايا اللغوية والثقافية ، فتجعل بلدا عربيا مثلا يمنع دخول مجلات البلد العربي الآخر الى أرضه ويقف أمام تبادل الخبرات وانتقال الكتب ، فتتضاعف الحواجز والسدود ويتوهم البعض أن المشكلة أساسا هي ما يصطدمون به في واقعهم اليومي الضيق ، بينما لا يمثل هذا الواقع الا جزءا من حالة عامة •

وينتج عن هذا أن البعض قد يقوم أحيانا بمحاولة لفض بعض المشاكل التي يتوهمها مستجدة ، بينما تكون قد وجدت حلها في بلد آخر منذ مدة بعيدة • ويصدق هذا الحكم بنفس الشكل عندما نتناول تنظيم جامعة أو كلية أو مجرد العثور على لفظة لغوية •

وتؤدي هذه النتيجة الى وضع مُربك ، فهي من جهة اضاعة للوقت وللجهد في حل مشكلة مفضوضة ، وهي من جهة ثانية تؤدي في غالب الحالات الى العثور على حلول متباينة ، أي تزيد من تعميق هوة التشتت اللغوي •

ومع ذلك فان بعض الاحداث المعاصرة ، أو القريبة العهد منا ، تشير بوضوح الى الخط الايجابي الذي يجب اتباعه • اني لا أزال أذكر الارتباك الذي ألم ببعض الاوساط الصحفية عندما اندلعت فجأة حرب ١٩٦٧ ، فقد كان كثير من الصحفيين لا يعرف من لغة القاموس العسكري أكثر من كلمات البندقية والذخيرة والمدفع • الا أن وجود مركزية عربية في الاخبار • ممثلة في اذاعات الدول العربية المعنية وبيانات قياداتها العامة وكتابات صحفها قد وضعت في ظرف أسبوع واحد سيلا من التعبير اللغوي بين أيدي المستعملين وسمحت بنقل أجزاء واسعة من القاموس العسكري الى وسط التبادل اللغوي في تونس مثلا • ويمكن استخلاص نفس النتائج بالنسبة لمصطلحات حرب العصابات انطلاقا من انشاء صفحة «فلسطين» الاسبوعية في جريدة الصباح اذ وضعت هذه الصفحة ، ولكن بصورة غير مفاجئة بضاعة لغوية واسعة في السوق •

القضية اللغوية اذن ، بالرغم من كل ملابساتها ، ومتعلقاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية لا تدعو الى التشاؤم ، لان الماضي يدل على أن اللغة العربية خرجت باستمرار من مواجهاتها منتصرة • المهم فقط أن نعرف أن الزمن في عمر اللغات لا يقاس بالاعوام ، ولكن بشرط أن لا نمنع التطور الايجابي وأن لا نرتكب من المخاطر ما يمسخ الاتجاه الحقيقي ، وذلك لانه اذا كان صحيحا أن القضايا الاجتماعية الخطيرة لا تقاس نتائجها بالاعوام القليلة ، فالاصح منه أن عمل سنوات قصار في هذا المجال قد يتطلب تقويمه النسبي أعمارا وأجيالا • ولكن حساسية هذه القضايا وارتباطها بردود فعل الجماعات أمام السلطة تجعل الموضوع في نهاية الامر متعلقا بالقرار السياسي •



الفرح بالحرب

• قصة : عادل أبو شنب •

كان علي أن أناضل لارى . من جديد يجب أن أولد أو أبدأ . اعتدت على الظلام حتى ادمنته ، لكنني كنت حزينا ، لا لفقدان بصري فحسب ، وانما لان الظلمة المعششة في عيني لم تتح لي ، الان بالضبط ، أن أشهد دمشق وهي ترتعش تحت وطأة الحرب الجديدة .

ولقد فكرت أكثر من مرة ، بالهرب من غرفتي ومن المستشفى . كنت أحب أن أخرج الى الطرقات ، أمشي وأسمع ، وأناقش اذا ما اتيحت لي فرصة للمناقشة . ففي مثل هذه الاحوال يحلو لرجل من هذا البلد ، عسكري مثلي ، أن يتكلم ، يفسر الاحداث ، يعلق عليها ، يضع خبرته على مائدة الآخرين الذين يجهلون ماذا يعني أن يفتح العدو ثغرة في جبهتنا ، وماذا يعني أن ترتاح قواتنا لفتح مثل هذه الثغرة تمهيدا لضرب قوات العدو من خلالها، لكنني اجهضت هذه الفكرة في مهدها ، فهي تعني بالنسبة لاعمى جريح مثلي ، انتحارا متهورا مجانبا .

لازمتني الممرضة .. وكنت أشعر بوجودها ، حتى ولو لم تبدر منها حركة ، أو يسمع صوت ، وكان يحزنني أن تخصني ،وحدي ، بهذا العطف .. وعندما جاءتني بالحساء ، قلت لها :

ــ استغرب ان تبقي بجانبي وحدي . هناك عشرات الجرحى .

قالت تتصنع الغضب :

ــ هل تطردني ؟

وقلت بسرعة :

ــ معاذ الله . أبدا . أبدا .

وقالت بصوتها ذي البحة المحببة :

ــ اطمئن . لكل جريح من يهتم به ، ثم انني لا أخصك وحدك بخدماتي .

وصمتت ، وبقيت كلماتها تنط في أذني . ولقد استبدت بي دهشة كبيرة . كنت لا أصدق أن الامور ، في هذه الحرب ، تجري بمثل هذه الدقة ، وان العطف يشمل الجميع ، وكان جزء كبير من دهشتي يخصها هي . أو يخصنا ،نحن الاثنين معا ، فاذا كانت توزع خدماتها علي وعلى الآخرين ، فما معنى أن أشعر بملازمتها لي طوال الوقت ؟ ما معنى أن تكون متماثلة في ذهني ، في غرفتي باستمرار .

وانفرجت شفتاي عن ابتسامة صغيرة ماكرة .

كانت أصوات القنابل والانفجارات .. تصل الى آذاننا ، نحن المقيمين الآن في دمشق . وكان ثمة احساس صامت بالخوف . الاصوات تزحف على الاعصاب ، تتسلقها وتترك في جعبتنا توقعا بحدوث شيء ما ، بتنا ننتظره دقيقة في اثر دقيقة . وكان المذياع يحمل الينا أخبارا كثيرة ، منها ما يفرح ، ومنها ما يثبط العزائم ، لكن انتظار الاتي المجهول .. كان يحولنا الى أشخاص مربوطين بلوالب كدمى تتحرك اذا ما عبثت . ولما كان عالمي شبيها بزجاجة صغيرة ضيقة الجدران والعنق ، يستحيل علي أن أخرج منه الى العالم الارحب الذي كنت أصول وأجول فيه قبل اصابتي ، بدت أزمتي أشد تأثيرا على نفسي ، حتى انني في بعض ساعات الصمت الطويلة المفزعة ، كنت أفكر جديا بالانتحار ، وانهاء حياة صارت عجوزا قبل الاوان .

وكانت الممرضة نافذتي المفتوحة على العالم الكبير ، ولقد بدا لي عطفها شبيها بعصا الاعمى التي لاتعوضه عن عماه ، ولكنها تزرع في صدره بذرة أمل صغيرة في أن يمارس حياته بخيط واه من العزاء . ومن وهج هذه الفكرة التي ألحت علي ، وأنا ملقى على سريري الحديدي قررت أن أسألها معروفا .

كان الوقت مساء ، وكانت دمشق هادئة ، فمع حلول الظلام خرست المدافع وسكتت الانفجارات ، واستبدلت أحاديث الحرب بأحاديث مختلفة ، ولقد سنحت لي الفرصة عندما سمعت حفيف ثوب الممرضة في الغرفة .

قلت كأنني غير واثق من وجودها :

ــ أأنت هنا ؟

وجاءني الصوت منقذا كبوق يعلن انتها الغارة :

ــ أنا هنا .

قلت :

ــ أريد منك معروفا .

قالت :

ــ أنا بأمرك .

قلت :

ــ هل يمكنك أن تقوديني غدا الى شوارع دمشق .

ولم أسمع جوابا ، وخيل الي أنني ، في ظلمة عيني ، أرى وجها جميلا ، قد حولته الحيرة الى اشارة استفهام كبيرة ، وقدرت أنها أحرجت ، والا لاجابت على الفور ، كعادتها ، أن نعم .

وأعدت السؤال بصيغة أخرى :

ــ أسأمني هذا السرير ، أريد أن أحس دمشق بنفسي .

وسمعت صوتا واهنا :

ــ اذا ما فعلت .. تعرضت لتأنيب الطبيب .

وقلت في حزم

ــ ان لم تفعلي ... خرجت وحدي .

- ٢ -

وضعت ذراعي حول عنقها ، شعرت بدفء مخدر . هذه هي أولى خطواتي على الارض بعد استلقاء طويل . كنت طلبت عصا لأتكىء عليها ، فلم يأتوني بها ، وتطوعت الممرضة ذات الصوت المبحوح لتكون عصاي في جولتي هذه .

وركبنا السيارة .

لم أكن أرى شيئا ، وكانت الممرضة تصف لي ما تراه ، وكان يعوزها ، كما قدرت ، كلمات مناسبة للشرح . هذه حالة جديدة . دمشق في خضم الحرب . ضربات المدافع المسموعة .. تشبه نبضات قلب تحت العملية الجراحية ، والممرضة لا تستطيع أن تعبر جيدا عما تراه . أنا وحدي كنت أستطيع أن أفسر كلماتها .

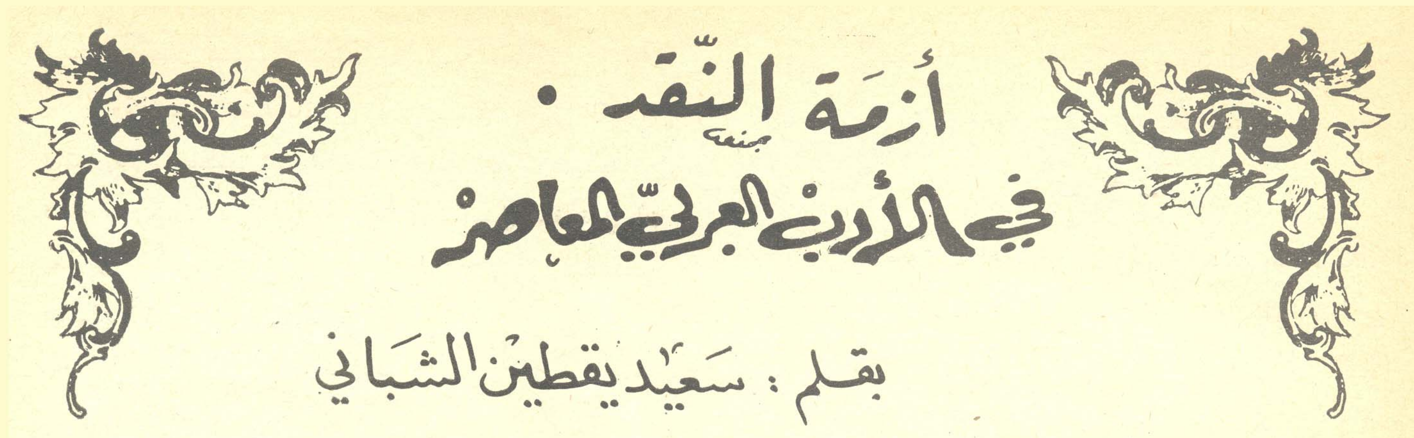
ــ ها هنا اولاد يلعبون . هل تدري بماذا يلعبون ؟ بمظلة طيار .. وها هنا .. وها هنا ...

كانت كلماتها القليلة المقذوفة الى اذني بحياد . تتحول الى صور غنية في ذهني انا الاعمى ، كلوحات مرسومة بعناية ،دمشق تعيش الحرب اذا ، تأكلها وتشربها ، وتنام وتفيق على وهجها وقرعات طبولها ، دمشق اذاً تناضل وهي تحت العملية الجراحية ، ليظل قلبها ينبض وينبض ، ولتظل عيونها ترى جيدا حتى في الظلام ، مرة أخرى أحسست بلزوجة الدموع .

قلت للممرضة :

أرجوك . أريد أن أنزل .

ونزلنا واتجهت ، وأنا متكىء على ذراعها الى أولئك الاطفال الصاخبين الذين كانوا يلعبون بمظلة الطيار التي غنموها . ورحت أمد ذراعي نحوهم ... أريد أن أمسك ، أنا أيضا ، بالمظلة ، أو بأحدهم لأتحسس ، بكفي ، وجهه الفتي ، وأقرأ باللمسات المتحفزة على قسماته فرحه الطفولي بغنيمته .



أزمة النقد في الأدب العربي المعاصر

بقلم : سعيد يقطين الشباني

قد لا تجدى اعادة طرح اشكالية الاطار الجديد في الشعر ، وما ينطوي تحت هذه الاشكالية من عقم وجذب على الصعيد الادبي والفني ، وان كنا نحاول جاهدين في هذا المقال اعادة وضع المفهوم الشعري والنقدي في الادب العربي المعاصر موضع السؤال والتحليل ·

ولعل كثيرا من المهتمين بشؤون الشعر الحديث بالخصوص يدركون مدى الهوة السحيقة التي تحول دون التفاعل والانسجام بين المبدع والمتلقي نظرا للتيارات والاتجاهات التي قولبت الشعر العربي في اطار لغزي ورمزي ، تغلب عليه سمات الابهام والغموض اللذين يتبين لنا انهما صارا هدفا يقصد ووسيلة يرمى اليها ، شأنها شأن المحسنات البلاغية التي لما قصدت لذاتها في عصور الانحطاط عرف الادب العربي ترديا وانفضاحا ·

والفنون الكلامية ، ومن بينها الشعر ، « لا تؤدي وظيفتها الاجتماعية الا اذا عرفت سبيلها الى الجماهير » التي تتفاعل معها ، وتقيمها بقيم اجتماعية أو سياسية ، وبعكس هذا التفاعل تبقى تلك الفنون رهينة عزلة فكرية – كما اسميها – وقد لا ترقى الى اداء دورها الاجتماعي أو السياسي ··

هذا وان الشعر العربي عموما ،والمغربي منه خاصة يعرف تلك العزلة التي بدأت بذيوع الاتجاه الاسطوري والرمزي تحت تأثير معطيات حضارية وأخرى سياسية لا نريد الوقوف عندها كثيرا لتبرير هذا الاتجاه الجديد ، انما الذي يعنينا هنا هو ان انتشار هذه الموجة أدى الى تطوير عقلية القارىء العربي من انسجام وتعاطف مع الشعر الى تنافر وقطيعة · فكان مؤدى هذه القطيعة ، وذلك التنافر ان ظل الشعر العربي بعيدا عن الجماهير ، وان كان يعبر عنها ، وبقي فنا صومعيا ، وان كانت أرضيته التزامية ، وهذا التناقض ان صح التعبير بين دعوة الشعر ورسالته ، بين مؤداه الحقيقي وانطلاقته ، بين اهدافه وأرضيته يكشف لنا عن وضعية مزرية يتردى فيها الشعر العربي المعاصر · ويبرز باختصار ما يمكن أن نسميه بأزمة الشعر ببلادنا في مشرقها ومغربها ·

ويكفي أن نلقي نظرة متمحصة الى ما تنشره المجلات التي تعنى بشؤون الادب والفن والملحقات الثقافية في كل البلاد العربية لنقف بجلاء على هذه المرحلة التي يقطعها الشعر انها حقا تمثل أزمة شعرية ···

وتجدر بنا الاشارة في هذا المضمار الى أن كثيرا ممن يغضون الطرف عن معطيات واقعية يرددون بحماس وتبجح مشيرين الى بعض القصائد العربية التي ترجمت الى لغات أجنبية كون الشعر العربي المعاصر بدأ يرقى الى مصاف الاداب العالمية ، الا ان المهزلة الكبرى تكمن في ادعاءات بعضهم ، اذ يرجع ببلادة شعارات عفى عليها الزمن وتراه يرفع عقيرته مناديا بالادب الهادف أو بالالتزام متجاهلا عن وعى أو لا وعى ان هذا الالتزام ليس كافيا لخدمة الجماهير العربية ، ما دام هذا الادب الملتزم غير مستساغ من قبل القراء العرب لكونه لجأ للغموض وفي غالب الاحايين من أجل الغموض ؟

وآية ذلك اننا نسمع باختتام كل مؤتمر عربي في مجال الفنون الادبية كثيرا من التوصيات والشكايات التي

تدين هذه الانفصالية عن الجماهير ، وهذه الانعزالية التي تزداد انفلاتا من قبضة الوعي العربي بتداول الايام والشهور ..

ونحن اذ نثير هنا ظاهرة الغموض الذي يطبع جل الاثار الشعرية ، فاننا لا نريد ان نقف موقفا معاديا لتطورية الشعر الجديد ، لان التعبير عن واقع عصر يقتضي منا الاخذ بالمعطيات المعاصرة التأثير أخيرا في توجيه العصر توجيها اخلاقيا وانسانيا .. ومعنى الاخذ بالمعطيات المعاصرة تفاعل مع البيئة وسبر لاغوارها لا الخضوع لمؤثراتها . ولما كان العالم العربي لظروف تاريخية لما يواكب سير الحضارة الانسانية التي يقودها الغرب ، كان من المحتم عليه الاخذ بأسباب الثقافة الغازية لمواجهة تحدياتها ، والوقوف دون مطامعها ، الا أن هذه الاشكالية طرحت قضايا عديدة ، بل مشكلات عديدة على مستوى الفكر العربي الذي ارتبط ارتباطا وثيقا بالثقافة المسيطرة عالميا في حين أن الشعب العربي بقي متقيدا بأحفاد الاجداد والفكر الاسطوري ، فكان التنافر بينا بين الفكر العربي الذي نحا نحو الوضعية ، وبين الشعب العربي الذي بقي يتمتع بتبعة السلف ، وسار الشعر العربي سير السوريالية والرمزية ونحوها مجددا في الاطار وسالكا فيه مسلك البيت الحر على سنن لافورج وكوربير ، بينما الجمهور العربي ما تزال القوافي والاوزان العتيقة تجلجل في أذنيه ، وما يزال مستواه الثقافي منحصرا في نوع من الثقافة الرخيصة التي لا تحل معضلاته ولا تساهم في تطوير ذهنيته .

ولما كنا بصدد الحديث عن الابهام الذي يطبع الشعر العربي المعاصر نحب الاشارة الى أن من الضروري الوقوف على أن من مميزات الشعر الحديث هو اهتمامه بالصورة الشعرية ، واستخدام الاسطورة للتقريب والايضاح . ومن ثم « فالصورة اذن تكون مألوفة لدينا أكثر مما يكون مألوفا لدينا ما نشرحه لها » ، بينما نجد العكس متمثلا في الشعر العربي ، فهل يدل هذا على أن الشعراء غير ناضجين تماما ، ما دامت الصور الشعرية تضفي على آثارهم الاغراب لا الايضاح ؟ ولعل هذه هي النقطة التي أشار اليها عز الدين اسماعيل في كتابه عن الشعر العربي المعاصر .

ومن ثمة كانت القصيدة العربية لا تمثل الانسجام بين محتويات الادراك الحسي للشاعر ، وبين الكلمة التي يستعين بها لاداء مكامن حسه وحدسه فكأنما الشاعر العربي يفتقر الى الاداة ، وهذا من الممكن استدراكه ، واما أن تكون افكاره ليست واضحة له ، وانما يقذف بها بلا وازع ولا دافع ، فتكون القصيدة مفككة المحتوى عديمة الجدوى لا تتواءم اجزاؤها وصورها ، فيتعب القارىء باحثا عن خيط تواصل يفتقر اليه غير الناضجين من الشعراء الذين تزخر بهم الساحة الادبية ، وهذا هو المشكل الذي يزيد الازمة توترا .

وقد أدت هذه الازمة الشعرية الى أخرى نقدية ، اذ أن النقد ادرأ خلف ستار الغموض والتفكك الهيكلي في عناصر القصيدة العربية ليصمت طويلا واذا تكلم لحظة قصيرة كان العي واضحا في كل ما يصدر عنه من مقاييس وأحكام..وانه لمن التعسف الحكم على أن الازمة النقدية، هي وليدة الازمة الشعرية ، دون الوقوف على الاسباب الاخرى التي جعلت النقد يتخلف عن السير موازيا للشعر في تطوراته ..

ولحسم في هذه الاشكالية نوثر طرح عدة اعتبارات يدركها المهتمون بالادب ببلادنا ، ذلك أن النقد الذي سيطر على الساحة العربية في العشرينات من هذا القرن والذي امتدت هيمنته الى الستينات كانت مقاييسه التي أرستها مدرسة الديوان ومندور وعوض..ومن عاصرهم مستهجنة، بمعنى أن المعايير التي يسير على هديها ما هي الا مزيج من النظريات العربية القديمة ، والغربية التي هيمنت في القرن التاسع عشر ، فكان الناقد العربي يستفيد من نقد القرن الرابع الهجري عند قدامة والعسكري وابن رشيق

ومن نحوهم في ابراز النواحي الشكلية والحكم على الاخطاء العروضية ، وتحليل المحسنات البديعية ، كما كان يستفيد في الوقت ذاته من نظريات وضعية عندتين أو نفسية كما رأينا عند العقاد وغيره من المتأثرين بالنقد الانجليزي ، في تعميق العلة بين الاديب والمتلقى عن طريق محاولة استكناه أبعاد التجارب الشعرية، والنفوذ الى ظلال الكلمات وما ورائياتها ، فكان النقد في تلك الفترة يقوم بعمل ابداعي جديد ،فحقق ما يصبو اليه النقد الادبي القويم • فتعدد المدارس الذي استفاد منها النقد الادبي في تلك الفترة جعلته يقو مبدور مهم في اثراء الادب العربي ، وفي نفس الوقت في توجيه الادب توجيها سليما ••

الا أنه عندما ظهر « الشعر الحر » في اواخر الاربعينات اتخذ النقد سمة احتجاجية دفاعية عن قدسية الاطار القديم ، أو هجومية على التقليد الاعمى لما تجاوزته الاذن العربية ، والجدير بالتنويه أنه رغم مضي أكثر من عشرين سنة على ظهور الشعر الجديد ما تزال تلك السمة الاحتجاجية بارزة في كثير من الاعمال النقدية •

وهذا ما جعل الشعر الجديد يسير فارضا صوته بقوة وعنف ، بينما النقد بقي يمشي وراء الشعر لا أمامه يدافع عنه لا مبرزا خصائصه كما يجب أنيكون ذلك ليحببه وليفهمه للجمهور العربي ، بل مهاجما الشعر القديم وما يرزح تحته من قيود تفاعيلية أو محسنات بديعية ، مما جعله دائما في آخر الصف من جهة ، ومعبرا عن لا أهميته وسلبيته من جهة أخرى ، فكان حقا كما يقول المثل المغربي: « غير تابع بيلالة بالمجهر » •

ولكن هل معنى هذا أن الحركة الجديدة على الصعيد الشعري لم يستفد النقد منها ؟ الحقيقة أن النقد على هذا المستوى كان كما تكشف عليه المؤلفات النقدية في هذا المجال : فالسياب الذي يرى جل الباحثين أنه السابق الى الشعر الجديد في قصيدته (هل كان حبا ؟) التي كان تعليقه عليها قصيرا جدا • فهل يعني هذا أن هذه الحركة لم يكن مخططا لها ، وانما جاءت عفوية ؟

واذا نظرنا الى نازك نجدها لا تخرج كتابها عن قضايا الشعر المعاصر الا بعد مضي خمسة عشر عاما وكانت في هذا الكتاب أشياء كثيرة دلت على أن نازك كانت دعوتها عن وعي وادراك • ولم نر بعد كتابها هذا في الاهمية والدقة الا كتاب الشعر العربي المعاصر لعز الدين اسماعيل وهو كما يصرح بذلك نفسه أن كتابه جاء متأخرا عن وقته• أما ما خلا هذين الكتابين المبرزين لقضية الدعوة الجديدة فاجترار وأحيانا تحريف لابعاد هذه القضية •

وقطع الشعر الجديد خطوات الى الامام والنقد يتفرج عليه ويحملق فيه ببلادة وبلاهة ، وعندما يستيقظ من غفوته – لا ليبرز صرامة موقفه – يكشف لنا عن موقفه الايديولوجي وعن وقوفه الشكلي من الشعر العربي وعن سطحية ازاء أبعاد التجربة الشعرية الجديدة ، سيما بعد ذيوع ظاهرة الالتزام أو الواقعية الاشتراكية • اذ رأينا دور الناقد بدأ يتواضع ويتقلص نحو الصغار متخذا صفة ابراز الذاتية أو الموضوعية كمقياس صالح لتقييم كل الاثار الشعرية •

وعندي هنا بض الادلة عن بعض النقاد المغاربة الذين لم يخرجوا عن هذا المعيار الذي بامكان كل انسان أن يدلنا عليه ببساطة وسذاجة • فعبد القادر الشاوي مثلا في نقده لديوان ابن دفعة لم يتجاوز أن قال بما يتمثل في الديوان من رومانسية أو من الحديث عن الثورة الجزائرية وكذلك في نقده لديوان الحب مهزلة القرون حيث كانت انطلاقته من ابراز رأي عنيبة في شعر قباني في المرأة ليقول لنا بعد ذلك أن عنيبة كان يأخذ من مدرسة نزار حتى وان كان يقول :

كل القصائد في الغرام هزيلة

والشعر كان لاكدح الطبقات!

واذا تركنا الشاوي ، فمحمد السبايلي أيضا في نقده لديوان مصطفى المعداوي لا يزيد على ان يبرز الجانب

الرومانسي عند المعداوي، ويأتي بأبيات للاستشهاد وكذلك عندما يتحدث عن القضايا الوطنية عند الشاعر ، وعن الثورة الجزائرية ، ثم يختتم نقده أو بأصح مفهوم تعليقه الصحفي على الديوان بأنه يمثل مرحلة من مراحل الشعر التي قطعها المغرب ٠٠٠

وقد عمل النقد الايديولوجي على توجيه بعض المتنطعين من الشعراء الى سلك مسالك اكراهية فجاء أدبهم لا التزاميا بل سطحيا وآليا مما جعلهم يتخلفون عن الساحة الادبية نهائيا ٠٠

والى جانب هذا الخطأ التقييمي الذي يتردى فيه النقد الايديولوجي نجد الناقد العربي غير مؤهل للقيام بعمله الادبي ، وتوجيهه الشعر توجيها سليما ، بعد تفهم وتطلع للمعطيات والمقتضيات العربية فثقافة الناقد الذي يجب أن يكون كما يقول عبد الكريم غلاب « أديبا وزيادة » شاحبة جدا ٠ وما يزال بعضهم يعتمد على الترجمة العربية دون محاولة استيعاب الثقافات الاجنبية في لغتها الاصلية وان من سيئات الناقد المثقف أنه لا يرى أن في النقد عملية ابداعية جديدة ، ولذا تراه يقيم حاجزا بينه وبين الاثر الفني ، وهذا من أخطار الوضعية التي يطبقونها على الاعمال الفنية ٠ كما أن النقد العربي الذي يقف على رجليه ما يزال يعيش على أسس ونظريات غربية ، وانه رغم مضي عشرات السنين ما يزال جنينيا ٠٠

ونشير في الاخير الى أن النقد لا يمكن أن يلعب دوره الطلائعي الا اذا أدرك بوعي تام ما يتخبط فيه الشعر المعاصر من فوضوية عن طريق فهمه فهما قويما لمتطلبات الجماهير العربية العريضة ، ولدور الشعر في دفع عجلة المجتمع الى الامام وهذا لا يتم عن طريق النقد الحكمي أو الايديولوجي الذي يتخذه جل الناقدين ، بل عن طريق سلك المعايير التفسيرية لان المشكل هنا هو مشكل الجهل التام لكل ما يقذف به الشعراء من قبل القراء ٠

واحب ان اختم مقالي هذا بقول زكريا تامر نظرا لما يتميز به من موضوعية وشعور بما تزخر به الساحة الادبية من تدجيل وتهريج :

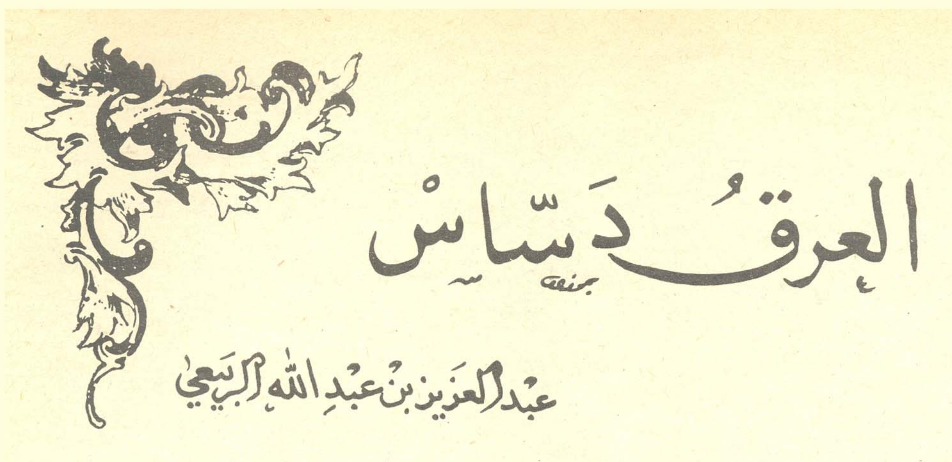
« نحن بحاجة الى نقد شبيه بالعصا التي تملك القدرة على طرد المزيفين والمهرجين من الساحة الادبية ٠ ولكن من المؤسف أن هذا النوع من النقد مفقود تماما ٠٠ فمعظم المحاولات النقدية تخضع لاعتبارات لا علاقة لها بالاثر الادبي وقيمته »

أيها النائمون حولي أعينو ني على الليل حسبة واتجارا

حدثوني عن النهار حديثاً أوصفوه ، فقد نسيت النهارا

العباس بن الأحنف





العرق دساس

بقلم

عبد العزيز بن عبد الله الربيعي

أخي الكريم الدكتور عبد السلام العجيلي رعاه الله .

السلام عليك ورحمة الله وبعد: أرجو أن تكون مع الاسرة الكريمة كما أتمناه لكم صحة وسعادة وراحة بال .

أخي عبد السلام . كنت أقرؤك الرجل المرتبط بوطنه وتطوراته وهمومه . كنت أقرؤك الرجل النافع لوطنه ولنفسه . الرجل المرتبط بجذوره وتاريخه الخالد التليد .

كنت أقرأ فيك البساطة والوضوح والصدق فأجدك القريب الى عقلي وقلبي ، هذا قبل أن ألقاك . فلما لقيتك ظهر لي ذلك في حديثك وأشارتك ولباسك وتصرفاتك وطعامك .

اذ أن الصدق لا يكون ـ كما تعلم ـ فيما تكتب أو تعتنق وحده ولكنه كذلك فيما تظهر به أمام الناس من حديث أو لباس أو طعام ، محبا أو كارها متعاطفا أو جافيا .

وكل تصرف لا يكون الصدق وراءه فهو يكون فاقدا للشعاع الالهي الخفي الذي يربط بين القلوب لأن هناك ـ كما تعلم ـ من المجاملة والابتسام والتعاطف ما تكرهه وتنفر منه النفس ومن الغضب والجفاء ما يحلو للنفس أن تتعاطف معه لأنها لا شك تحس في الاول الرياء والكذب وتحس في الثاني الصدق والاخلاص والبساطة والوضوح .

وأمس كنت أقلب في جرائد ومجلات كنت استبقيتها على طرف فوجدت بينها أعدادا من مجلة (الديار) جمعتها على بعضها وعند تصفحي لها وجدت أني قد أشرت على مقالات لك نشرت في تلك الاعداد ، أولها : (حكاية قديمة) وثانيها : (كسنجر في فندق حسيب) وثالثها : (ألف ـ باء ـ تاء) .

هذه المقالات الثلاثة أعادت لي ذكرى صورتك المشرقة وروحك الصادقة النبيلة .

ووجدت أني قد همشت على المقال الاول بالآتي : (ترى من هم بين الاعمام أعمامهم ؟) من وحي : (ترى من هم بين الاخوال أخوالهم ؟) على أمل أني سأكتب تحت هذا العنوان ولكني في الاخير عدلت عن ذلك الى المقال التالي : (العرق دساس) وألحقته بآخر : (الفطنة لدى العربي) .

هذان المقالان من وحي مقالك : (حكاية قديمة) ولو كنت في حالة خير من حالتي لكتبت من وحي هذا المقال : سفر بل أسفار . ولكن أنى لي بعزيمة كعزيمتك وارادة كارادتك يا أخا العرب . اذ أني منذ زمن طويل مكدود الذهن وأعيش حالة بين الكسل والخمول لا أستطيع تصويرها . وأنا أعرف أني لست الوحيد في هذه الدنيا سيىء الحظ .

غير أن من رزق العزيمة والارادة يستطيع ـ كما تعلم ـ التغلب على مثل هذه العلل والانتصار عليها ولو الى حين .

المقالان مرسلان لك مع هذه الرسالة أن شئت نشرهما في (الثقافة) أو أي مجلة أخرى فالامر عائد اليك ،

كما آمل أن تتاح لي فرصة الكتابة عن ما أوحى به الي المقالان الآخران .. وتفضل أيها الاخ الكريم بقبول حب وتقدير أخيك المخلص ..

عبد العزيز الربيعي

أشرت في بعض ما كتبت الى فراسة العربي وقوة استدلاله ، وما يتمتع به من بصيرة كاشفة تهديه الى سلامة الاستنباط وصدق الفراسة ، وعمق التحليل فقد اهتدى في أميته السحيقة الى صلة الانساب وتأثيرها الفعلي في التكوين الخلقي والسلوك الاجتماعي ، وفي ذلك قصص تروى وأحاديث تؤثر ، ولعل مما يسر القارىء أن نطرفه بهذه القصة ، وقد قرأتها قديما في بعض المظان ثم غاب عني مصدرها الآن ، لذلك أسردها كما أتذكر لا كما دونها صاحبها القديم .

نشز ولد على أبيه اذ أراد أن يزوجه من أسرة يزعم لها الاصالة والحرمة والابن فيما بينه وبين نفسه يريد فتاة خاصة لا ترتفع في رأي الوالد الى المستوى المنشود وطال الأخذ والرد ، وكل يتمسك بوجهة نظره حتى تحرج الموقف بعد شجار غير متوقع فسار الولد هائما على وجهه لا يدري أين يقصد .

كانت الصحراء تلتهب بلظى الظهيرة ، والهائم الغاضب يسير في سموم القيظ حيث تحمله قدماه لا يحدد لسيره وجهة ينتحيها ، وهو من شروده النفسي في ذهول

ينقضي معه الوقت دون اكتراث ، حتى غربت الشمس وأحس بتعب لا حيلة معه في استئناف السير ، فمد بصره الى خيمة تقع على مقربة منه ، وشعر بجاذب يدفعه اليها فما بلغها حتى نال منه الجهد ، وسقط من الاعياء ، وخرجت صاحبة الخيمة فرأت الغريب متعبا يتأوه ، فقدمت له الفراش خارج الخيمة ، وأسعفته بما يريد

من الماء والزاد ، وكان الرجل مجهدا فما كاد يحس برد الراحة حتى أسلم عينيه للنوم وخاض في سبات المجهد

الكدوح • ولم يزل مستغرقا في نومه ، حتى استيقظ في منتصف الليل على شجار متأزم ، أخذ يتبينه حتى تأكد

أنه شجار قد تسبب عن مجيئه ، حيث حضر الزوج بعد العشاء فرأى الغريب أمام خيمته ، فسأل عنه ، فعرف

أن زوجته أكرمته بالطعام والشراب وهيأت له مكان النوم ، ويالها من غضبة تملكته حين أخذ يسأل عن اسرافها وتبذيرها واضاعتها لماله وطعامه وكيف تتقدم به الى طارىء غريب • والمرأة تصغي في صبر وترد في أدب، والزوج مغيظ يقذف بالسب ويتفجر من الغيض ، ويتوعد الزوجة ، ويواصل الضجيج ولم يهدأ الا بعد عناء جهيد •

أرسل الفجر خيوط النور ، فرأى الغريب البغيض أن ينهض دون استئذان وأن يترك للصحراء أن تستضيفه طيلة اليوم مهما حملت من الحر وأرسلت من الرمل في هبوب الريح ، وما زال الشريد يهيم على وجهه ترفعه رافعة وتخفضه خافضة حتى أذنت الشمس بالمغيب ، ولجأ الى بعض الخيام وقد أخذ العبرة من أمسه ، فقصد رجلا تلوح عليه آثار المروءة ، وطلب المأوى لديه فشاهد الوجه المشرق ، والجبين الطلق وسمع الى ألفاظ الترحيب والاحتفاء • وما أسرع أن تقدم اليه صاحبه بالمأكل الهنيء والشراب البارد وما زال يؤانسه ويسامره حتى حان موعد النوم فهيأ له المكان خارج الخيمة ، ونهض الى الداخل ليستريح •

لم يكد الضيف يلم بمضجعه حتى سمع ما لم يتوقع، انه يصغي ليجد الزوجة غاضبة ساخطة تشاجر زوجها بعنف وتسأله ماذا أبقى للاطفال حين فتح خيمته لكل طارق ثم يعلو بها الغضب فتصيح وتقسم على الهجران اذا طلعت الشمس مرتحلة الى حيث لا ترى نزق هذا الزوج الأبله : والرجل ـ وما أكرم الرجل ـ يهدئها بأطيب الكلمات ، ويلاطفها بأجمل العبارات ، وما تزداد

الا نشوزا ووعورة ، حتى اذا عز عليه أن يسكتها خرج من الخيمة ظانا أن ضيفه يغط في رقاده • ولكنه وجده جالسا يبتسم •

وقع المضيف في حيرة ثم رأى أن يلاطف صاحبه فقال له في هدوء : هي عادتها وستهدأ ، تعودت هذا الغضب منها عند كل زائر ، وهي سحابة تتلبد لتنقشع عما قريب فلم يتمالك الضيف أن قال في هدوء :

لست أعجب لما شممت من غضب الزوجة يا صاحبي ولكني أعجب لما لا قيت بالأمس حين قارنت بينه وبين ما لا قيت اليوم •

قال صاحب الخيمة وكيف كان ذلك ؟ •

فاعتدل الضيف ليقول :

كنت بالأمس ضيفا كما أنا اليوم ، ولكن التي مدت يدها لمعونتي زوجة كريمة لمست تعبي الشديد فقدمت لي ما قدرت عليه وهيأت مرقدي خارج الخيمة ، فلما جاء الزوج وكنت نائما صحوت على ضجيجه وسخطه وفاه بألفاظ هي نفس الألفاظ التي فاهت بها زوجتك فكأنه هي أو كأنها هو والعجيب أن المرأة كانت تهدؤه بمثل ما هدأت به زوجتك فكأنها أنت أو فكأنك هي •

فقال صاحب الخيمة :

وأين مكان البيت بالأمس ؟ فرد الضيف يحدد المكان ، ولكنه فوجيء بصاحبه يضحك ويضحك •

فسأل في تعجب ماذا تراه باعثا على الضحك ؟ •

فقال صاحبه : ستعجب يا أخي حين أذكر لك أن امرأة الأمس هي أختي وأن امرأة اليوم هي أخته • لقد نشأنا في بيت واحد وتحدرنا من أعراق واحدة فكان الكرم ، ونشأت مع أخيها في بيت واحد ، وتحدرا من أعراق واحدة فكان الشح : انها الأعراق يا صاح •

ضرب الضيف كفا بكف ، وقال لصاحبه : لقد خرجت هائما مخالفا والدي ولكن ما لمسته من العبرة البالغة سيردني اليه لأنزل على رأيه في اختيار ذات الحسب الأصيل والعرق النزيه ••

هذه قصة عربية تحمل من الركائز ما يثري الباحثين في دراساتهم العلمية أطيب الثراء وكم لها من نظائر وأشباه فهل من مستفيد ؟ وهل من معتبر ؟ ••

الرياض ـ عبد العزيز بن عبد الله الربيعي



النقد الأدبي

ودراسة الأغراض الشعرية

د. رضا السويسي

ان المطلع على كتب النقد الادبي عند العرب قديما وحديثا قلما يجد هذا النوع من التحليل والنقد ، ولقد أصبحت دراسة الاغراض الشعرية لديوان من الدواوين أو لتيار من التيارات الادبية أو الفكرية بصفة أعم ، محل نقد وانتقاد ، ولقد ذهب بعضهم الى اعتبار مثل هذه البحوث من قبيل التمارين المدرسية البحتة ، فما ترددوا في توجيه انتقاداتهم لا نقدهم ، نحو مجال يجهلون عنه كل شيء والناس أعداء لما جهلوا .

فان كان للمرء أن يتساءل ، بحق ، عن قيمة دراسة الاغراض الشعرية لشعر معين، فان الرد على هذا التساؤل له من الوضوح والبيان ما من شأنه أن يخرس الالسن ويبطل كل تردد ، حيث أن قيمتها الادبية تتمثل فيما تزودنا به من معلومات لا تخلو من فائدة بل تكاد تكون جوهرية أحيانا ، بالنسبة للفرد أو مجتمعه أو البشرية جمعاء .

فما هي الاغراض الشعرية يا ترى ؟ وما هو مفهوم دراستها ؟

لا شك أن تحديد دلالة المفردة ليس من اليسير ، بل لها من التشعب في مفاهيمها ما يشابه مدلولات تيار أدبي مثلا ولقد انعكف الكثيرون على الدرس من ناحية المفهوم ومن ناحية الدراسة نفسها ، ونخص بالذكر منهم ، تروسون وقد حاول في مؤلفه أن يحدد أغراض الواقع (نصا ومشهدا) التي يعيشها الابطال مخصصا للاساطير وهيكليات الفرد الاوفى كما ينعتها يونغ جزءا لا يستهان به من كتابه ، ولقد اعتنى ج ، كلفي في كتابه بتحديد مفهومي الاغراض والمواضيع ولنا بين المستشرقين أمثلة عديدة في نفس المجال ، ومن بينهم هـ ، بيرس بدراسته القيمة وان هي لا تخلو من بعض الشوائب كان مردها تعصب من نوع معين ، وقد تناول بالدراسة فيها المظاهر العامة والاغراض الشعرية الاساسية في الشعر الاندلسي الفصيح في القرن الخامس الهجري ، الحادي عشر المسيحي وعمدن . اليساف الى دراسة المواضيع والاغراض في كتاب ألف ليلة وليلة ولقد سبق هذين المؤلفين ، مقال للاستاذ ر. بلاشار بحوليات معهد الدراسات الشرقية بالجزائر حلل فيه الاغراض الاساسية في الشعر الغزلي في القرن الاول للهجرة ، وفي العصر الاموي على وجه التحديد وقد بوبها الى أربعة مجموعات ، تتعلق الاولى بالمحب والثانية بالمحبوبة والثالثة بملاقاتهما والرابعة الاخيرة بالمشاق والعذاب الذي يلاقيانه في سبيل حبهما ، وهناك من نحا ناحية أكثر دقة في التحليل ، فتعرض الى دراسة الاغراض الشعرية في خمريات أبي نواس مثلا .

وان قراءة ، بل دراسة هذه المؤلفات والمقالات ، تمكننا من الاستفادة بأن الدال لا يطابق دوما مدلوله ، حيث أن مجال الدلالة يتسع حينا فيعمم ، ويدق أخرى ، فينعدم التحديد أو يكاد ، على أنه يتحتم علينا الاختيار من بين هذه المفاهيم كلها ، ويبدو تحديد السيدين ك. بيشوا و أ. روسو الوارد في كتابهما أقربها الى القصد المنشود ويمكن الاحتفاظ به ، ولو بصفة مؤقتة ، يقولان « ان الغرض هو نقطة الالتقاء بين الفكر الخالق والمادة الادبية ، أو البشرية بصورة أبسط » .

وانطلاقا من هذا التحديد يمكن للباحث أن يحلل الاثر الادبي سعيا الى تحديد مدى تأثير الفكر الخالق على المادة الادبية .

ويصطدم عندها باحثنا بالمنهجية التي يتحتم عليه توخيها في بحثه فله أن يختار بين التحليل الداخلي أو أن يجمع بينهما حتى يزيد بحثه شمولية ويتسنى له أن يستعين

حينئذ ، بالطرق المعبدة فيسلكها ، تلك الطرق التي ترسمها له كتب النقد الادبي التقليدية لما فيها من منهجية قد سبق لها اثبات كيانها ورسخ وجودها على الصعيدين التحليلي والاصطلاحي ، غير أن عيبها الاوحد هو أنها تجرد الاثر الادبي من وحدته بل من روحه الادبية والانسانية على الاخص ، وقد يتعصب البعض الى هذه المنهجية العقيمة بدعوى الموضوعية والتحليل العلماني وقد يكون الصواب من جانبهم لو أنهم عمدوا بعدها الى جمع الاشتات وتقديم صورة للاثر تتجاوز التحليل الاسقع فتكسبها حيوية وروحا حيث انه في اعتقادنا ، لا يخلو أي أثر أدبي مهما كان ٠

وقد نجد فيما تقدمه لنا من البحوث النقدية في الاداب الاجنبية ، ما يساعدنا على مهمتنا ، حيث انه لا يوجد أي مبرر لفرض تطعيم منهجية ما بما يقيها من الخطأ أو يزيدها ادراكا وقوة ، ولنا في الالسنية ــ وقد تسمى علم اللغة أو علم اللغات ــ والالسنية التطبيقية بخاصة وفي الاسلوبية وفي التحليل النفساني ان اقتضى الامر ، ما من شأنه أن نستفيد منه في دراستنا التحليلية النقدية ٠

ذلك أنه لو عمدنا ، في تحليلنا للاغراض الشعرية مثلا ، الى الطريقة المألوفة ، بما تتضمنه من قوالب جامدة وتقسيمات واطارات أجمد ، قد يؤدي بنا البحث الى اغفال جوانب من الاثر ذات أهمية وأغراض أساسية لا نهتدي اليها بمنهجيتنا المعهودة ، وقد تفوق هذه الاغراض الاساسية تلك المتداولة كأغراض الغزل والفخر والهجاء والخمر والسيفيات والنوريات الخ٠٠ وهذه الاغراض الاساسية هي قوام الاثر الادبي ٠

وحيث أن الشعر العربي الفصيح العتيق ، كثيرا ما يلجأ الى العبارة المتداولة للتعبير عما قصده الشاعر ، فان الامر ينتهي بطغيان البناء اللغوي على البناء الشعري أو ان شئت قلت تخضع الهياكل الشعرية الى الهياكل اللغوية فيستعصي على الباحث الالمام بمكنونات الشاعر النفسية التي كبتتها ، بل قتلتها المفردة أو بالاحرى العبارة فيصبح لزاما على الناقد أن يتجاوز الظاهرة اللغوية اعتمادا على اللغة نفسها لادراك « معطيات أدبية لا تزال قائمة الذات في شكل هياكل فكرية مكتسبة » تجسمها هذه العبارة المتداولة ٠

قلنا اعتمادا على اللغة نفسها وقد يبدو في هذه العبارة تناقض وغرابة ولنيسر الفهم ونوضح القول ، نعود الى المفردة اللغوية لا أي مفردة ، بل تلك المفردات الاساسية التي لها من المكانة ما يجعل منها نواة ، وانما هي مفردات تجسم كل منها غرضا شعريا بمفردها ، فتكون نقطة الانطلاق للغرض نفسه الذي قد يتجاوز البيت والبيتين والقصيد أحيانا ، ويتحقق ذلك اما عن طريق السياق أو الامتداد أو الاشعاع فيتبلور المجال الاسلوبي حول هذه النواة ٠

ولذا يتحتم علينا الاعراض عن القراءة العادية للاثر الادبي ، اذ لانها تكون عادة افقية ، تبقى متبلورة ولا نعوضها بالقراءة العمودية على غرار الاحصائيين وانما نعوضها بقراءة « دائرية » ان صحت العبارة نحاول بفضلها الالمام بالاثر الادبي في جملته حتى نتمكن من الاحاطة بالاغراض الاساسية لهذا الاثر مستندين في ذلك على المجالات الاسلوبية ٠

وتبدو عندئذ أهمية فهرس المفردات بينة واضحة ذلك ان ترتيبها يساعد على ادراك مدى تفاعل العناصر اللغوية بفضل القيمة الوضعية لهذه العناصر فندرك أغراضا خفية تفوق أهميتها تلك الاخرى التي تعودنا حصرها في الاعمال المدرسية ، فتبرز حينئذ خصائص الابداع الفني والابتكار الشعري في الاثر الذي تناولناه بالدرس والتحليل ٠

ومهما كانت طريقة التحليل فان وجود هذا الفهرس اللغوي أصبح ضرورة لا مناص منها ، لاستشفاف الاغراض الاصلية منها والفرعية التي قصدها الشاعر اما عمدا واما عن غير شعور منه ، على أنه لا يمكن بأية حال من الاحوال أن يتجاوز هذا الفهرس وظيفته هذه ، حيث ان دراسة التواتر في الاستعمال اللغوي لن تفيدنا في دراستنا النقدية بشيء الا اذا ما حددنا للتواتر مقياسا يعيننا على ادراك الفارق بين هذا المقياس واستعمال الشاعر أو الاديب للمفردة ، ومن البديهي أن فكرة المقياس تؤدي حتميا الى وجوده أو ايجاده استنادا على جدول تواتر يشابه الجدول الذي وضعه ج٠ فان داربك وما الامر بالهين بالنسبة

لعصر من العصور أو لتيار من التيارات الادبية ، فالعقل الآلي ومشاركة جمع من الاحصائيين المدربين على الجرد والاحصاء من الاساسيات ، لاقامة مثل هذه الجداول التي تفوق فوائدها كل تصور ، خاصة اذا ما رمنا في دراستنا أن نقوم ببحوث علمية تتوفر فيها الدقة والموضوعية والشمول في الوقت نفسه ، حتى نتمكن من الخروج من النطاق الضيق الذي يفرضه علينا الاثر الادبي المدروس .

واذا ما سلمنا بقول ب. فيرو من أن اللغة هي روح الادب ، ولا يعترف له بصفته الادبية الا بناء على التعبير - أو التعبيرية ان صحت العبارة - فان للتعبير وظيفة مستقلة بالنسبة للفرد وللمجموعة وللعصر وللنمط الادبي يتحتم علينا حينذاك الاعتراف بأن هرم القيم الوضعية والسياقة في مؤلف ما ، انما ينشأ عن النمط الخاص بقانون يتولد عن تفاعل المفردات اللغوية التي استعملها الشاعر أو الكاتب في تعبيره ، المرتبطة ارتباطا وثيقا بالحالات النفسية التي عاشها .

وبهذه الطريقة في الامكان أن نحيي من جديد التجربة الشعرية أو الادبية بصفة عامة التي نحن بصدد تحليلها ، فنقف عندئذ على شخصية الشاعر كما كان أو كاد يكون ، لا شخصيته كما تتراءى لنا من شعره في محاولته لوصفها لنا من خلال « ذاتيته الموصوفة » أو ضمير المتكلم وحتى يتسنى لنا بلوغ غايتنا على وجهها الاكمل ، فانه من المفروض أن نضع الشاعر في اطاره التاريخي من الناحية الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية من ناحية ، والتعمق فيما يبديه أو يكنه من مظاهر حياته النفسية والوجدانية والفنية من جهة ثانية .

على أن النظرية القائلة بأن الادب هو ظاهرة مستخلصة من الوضع الاقتصادي أو الاجتماعي لا غير ، على غرار النقد الادبي الماركسي ، فهي في واقع الامر تشويه لطبيعة الاشياء ذهنية مستقرة ، مستمرة ، قد تكون محدودة المدى لكنها قائمة الذات ثابتة الوجود ، قد لاتخضع الى هذا الاتجاه الذي يتمثل عيبه في ماديته المتطرفة واذا ما قدمنا في تحليلنا لاثر أدبي ما لمحة عن الحالة الاقتصادية أو الاجتماعية المعاصرة للاثر ، انما القصد منها تيسير فهم سلوك الفرد وحياته النفسية التي قد تفوتنا لولا تلك اللمحة .

كما أن ترجمة الشاعر - أو الاديب بصفة عامة - تساعد هي الاخرى على تفهم خفايا الدراسة الشعرية أو الادبية حيث لا يخلو الاثر من ارتسامات كثيرا ما تكون لها علاقة متينة بأحداث وقعت لصاحبه .

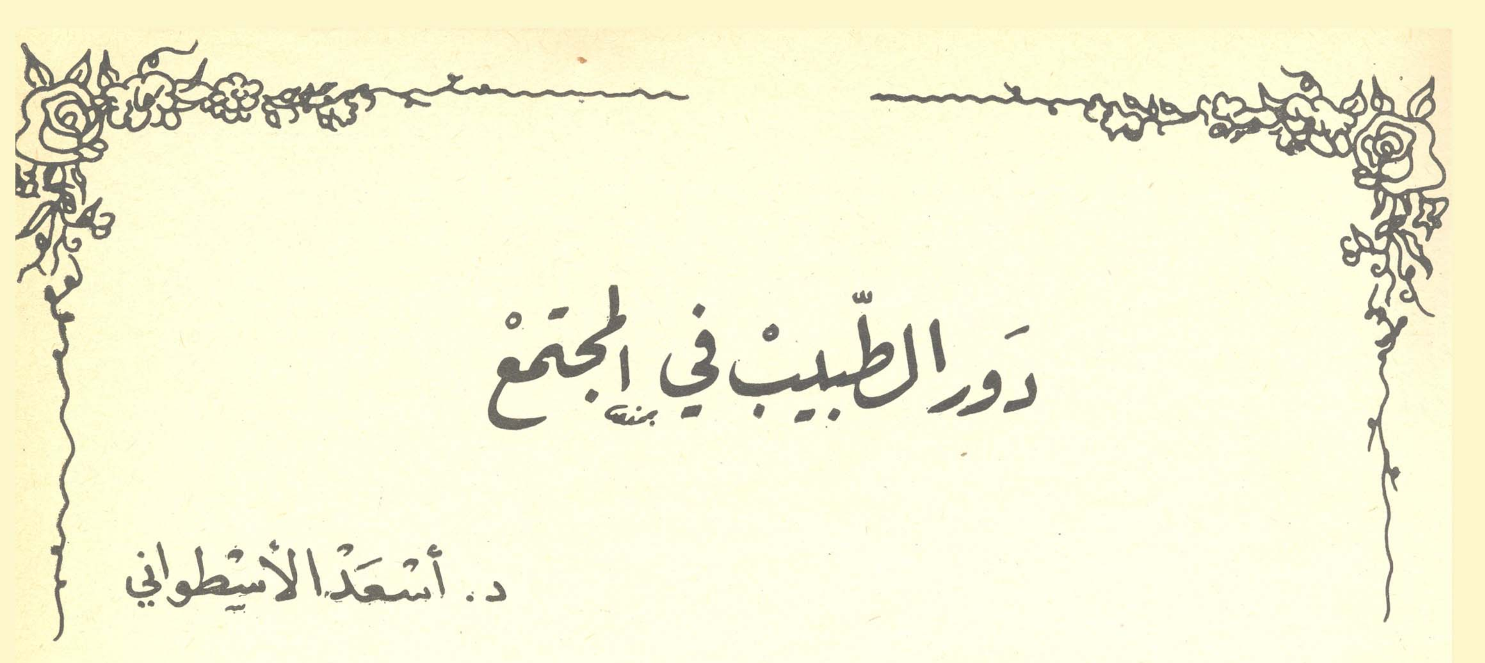
هذه جملة آراء تجمعت فوددنا تقديمها الى المقبلين على هذا اللون من النشاط الفكري ، وما كان الغرض منها تقديم محاضرة أو توجيها معينا في منهجية النقد الادبي في مفهومه الحديث ، وما اتجهت النية الى تحطيم طريقة بحث عتيقة قد بدت الى حد الان مزاياها ، وانما غايتنا أن نتجاوزها وأن نعيد النظر في طريقة البحث .

وما أردنا بها محاكمة التحاليل النقدية للاغراض الشعرية التي قام بها أسلافنا في الادب العربي لكننا نؤمن ايمانا قاطعا أن للظاهرة اللغوية في مفهومها الحديث ، في الاثر الادبي المدروس ، أهمية ما كانوا يدركونها ولا هم يلجأون اليها على النحو الذي حددناه ، واذا ما أشاروا اليها فانما يكون ذلك بطريقة عفوية أو حدسية .

وما قصدنا بالظاهرة اللغوية المفهوم المتعارف لدى البلغاء والعارفين بعلم المعاني والبيان أو البديع ، هذا ولقد اتجه علم الدلالة اتجاها حديثا يقارب نظريتنا ، وان هي ليست هو ، فالاسلوبية في نظرنا هي التي قد تساعد على تحقيق غايتنا النقدية في دراسة الاغراض الشعرية .

وما علينا أن نرفض منهجية ونقبل على أخرى ، بل علينا تحسين ما لدينا والاخذ بما يستحدث بقدر ، حيث انه من قبيل المجازفة أن نتحدث الآن عن مقياس الاستعمال مثلا أو الفوارق - الانحرافات - فيه بالصورة العلمية التي حددناها سلفا .

لكن لا يمنعنا هذا من الجمع بين كل الوسائل التحليلية التي في متناولنا ، سواء ما كان منها مستعملا في الطريقة الذاتية أو التحليلية النفسانية ، أو البلاغية أو الاحصائية أو التوليدية أو الوظيفية ، على أنه لا بد من الحذر في كل ما نقوم به من تحليل مع المرونة في التطبيق دونما تعصب ولا افراط ، حيث انه ما قد يلائم شعرنا وأدبنا لما تمتاز به كل لغة من خصائص بنائية وتعبيرية تتفاوت شاعرية الالفاظ فيها .



دور الطبيب في المجتمع

بقلم د. أسعد الأسطواني

يلاحظ المتتبعون للاوضاع الطبية في القطر العربي السوري خلال الاعوام العشرة الماضية الامور التالية :

١ ـ لم يتجاوز عدد الاطباء الممارسين في عام ١٩٦٤ الـ (١٠٠٠) طبيب في حين قارب الـ ٢٥٠٠ طبيب في نهاية عام ١٩٧٤ وهي زيادة ما زالت دون المستوى المطلوب اذا ما قيست بنسبة ازدياد عدد السكان الذين جاوز عددهم سبعة ملايين نسمة هذا العام ٠

٢ ـ يمارس أكثر هؤلاء مهنتهم في مدينتي دمشق وحلب ففي مدينة دمشق وحدها ما ينوف عن الـ ١١٠٠ طبيب بينما وصل عددهم في حلب الى ٥٠٠ طبيب تقريبا أي أن ثلثي أطباء القطر يعملون ضمن نسبة من السكان لا تتجاوز الـ ٣٠٪ من عدد السكان الاجمالي في سورية ٠

ولقد تضاعف عدد هؤلاء الاطباء في كل من مدينتي دمشق وحلب خلال السنوات العشر الماضية والعديد منهم من الاخصائيين في فروع الطب المختلفة وقد ساهموا بوضوح في ارتفاع مستوى المهنة وتقدمها كما ازداد الوعي الصحي بين المواطنين ٠ ومن الطبيعي جدا أن يتحسس مجتمعنا لهذا الامر ويتابع أخبار الطب والاطباء وينقد تصرفاتهم ويبدي رأيه فيهم ٠

٣ ـ ان ما يهمنا في هذا المجال هو دور الطبيب في المجتمع ضمن التطورات التي حصلت خلال الفترة الماضية ٠ والهدف هو ايجاد الصلة الحقيقية الناظمة بين الطبيب والمجتمع الذي يتحرك فيه كي يقوم بدوره بمنأى عن العزلة الفكرية والانسانية والتي كثير ما تنعكس آثارها على الطرفين ٠

٤ ـ نطمح من خلال هذا البحث الى تنشيط واثارة عوامل اللقاء والحوار بين جميع الزملاء سواء من كان منهم ممارسا في عيادته أو مسؤولا في عمله أو مدرسا في كليته ٠ ولسوف ينجم عن هذا الامر ، في تقديرنا ، تطوير اساسي لعاداتنا ومفاهيمنا السابقة وهكذا يصبح الاطباء أكثر قدرة واستعدادا للتفاعل مع محيطهم ٠

لمحة عامة عن واقع المجتمع :

نظرا للتقدم التكنولوجي المتسارع أصبحت المجتمعات الحديثة معقدة البنية والتركيب فبينما كان الطبيب في الازمان الغابرة فلكيا وفيلسوفا وعالم رياضيات فان تقسيم العمل الذي كان نتيجة لمجتمع الآلة جعلته ينكفيء الى مواقعه الاصلية بل الى تجزئة هذه المواقع الى اقسام لا نهاية لها من الاختصاصات ٠ وهكذا صار الامر بالنسبة للمجموعات المهنية الاخرى وبسبب هذا التمايز كان لا بد لافراد كل مجموعة مهنية ان يتجمعوا في نقابات ومؤسسات مختلفة هدفها تحسين مستوى المهنة والدفاع عن مصالح أفرادها وكان لا بد لكل منها ان تؤدي دورا خاصا بها ضمن المهام الموكولة اليها ٠

ولكن الشيء الواضح هو ان هذه المجموعات أصبحت لا تعمل الا في نطاقها المحدود ولا تتحرك الا في دوائرها المغلقة بدون ان يتم بينها أي اتصال أو تفاعل في نفس الوقت الذي تبدو تجاه بعضها البعض وكأنها كاملة الانسجام والتوافق ٠ فالمجموعات المهنية ذات الدخل العالي تظهر منسجمة بالنسبة لنقابات العمال كما يظهر الاطباء

بالنسبة للمحامين مثالا للتفاهم والترابط وهكذا فان الظواهر الخارجية لا تسمح بالنفوذ الى القضايا والمشاكل التي تتمخض داخل كل مجموعة على حدة فالعامل الاساسي الذي يحجب هذه الامور هي روح التعصب المهني أو النقابي

اذ أضحت المطالب المهنية الضيقة القاسم المشترك لتجمع أفراد المهنة الواحدة وهو أمر ذو دلالة خطيرة في المدى الطويل اذ سوف يؤدي الى عزلة تلك المجموعات وبالتالي الى عدم مساهمتها في بناء المجتمع لان منطق عصرنا الحديث يجعل من العسير جدا على كل مجموعة حل قضاياها بمعزل عن المجموعات الاخرى ٠

ولا بد لتوضيح ما ألمحنا اليه من عرض صورتين متباينتين احداهما صورة الذين يهابون المجهول والذين يعيشون في تواكل تقليدي أو في قلق دائم بنفس الوقت

الذي لا يستطيعون الاسهام في التطوير الروحي لمجتمع يؤلفون هم انفسهم أصحاب الحظوة فيه ٠ فهذه الحالات التي تعبر عنها التصرفات اليومية لجمهرة الاطباء اليست

هي رد فعل عنيف مرتبط بالصعوبات التي تعانيها مجموعتنا من أجل استيعاب الفكر المعاصر وهضم التطور التكنولوجي الحديث؟٠ اليس ذلك بالضبط ما يفسر جمودها الاجتماعي ومخاوفها وتجاهلها للكثير من المشاكل التي تعترض الناس في حياتهم اليومية على الرغم من اقتباسها لجميع مظاهر الحضارة المادية ؟ ٠

ان الصورة المعاكسة هي تلك التي تدعو الى الانطلاق والانفتاح لتقوم بتفجير الانسانية خلف العزلة المصطنعة

لكل مجموعة من هذه المجموعات ٠ ففي الوسط العمالي مثلا ، قيم تدعو الى الكرامة والشعور بالعدل والاخاء والتضامن والعمل الجماعي بينما تتصف قيم الوسط الطبي

والاوساط العلمية الاخرى بحب النظام والتسلسل والمبادرات الفردية والرغبة بالانجاز ٠ فالتقدم الحضاري الانساني بحاجة الى هذه القيم المختلفة ومن العسير ان

يتقدم مجتمعنا بدون وجود تفاعل بين اطرافه المتعددة لان حدوث التفاعلات المتبادلة بين هذه المجموعات هو الذي سيؤدي حتما الى خلق الحوار بينها والى الفهم العصري لجميع القضايا البادية في الافق من أجل ايجاد صيغة حضارية جديدة لمجتمع تنتفي منه صورة البدائية والتخلف ٠

ان وحدة المجموعات الحقيقية هي تلك التي تنبع من « الاخذ والعطاء » ومن تفهم الفئات الاجتماعية لمشاكل بعضها البعض لتتآزر على حلها ٠ فالعالم الطبي هو أكثر قدرة من غيره على استيعاب مشاكل المجموعات الاخرى لانه بطبيعته ملتصق بحياة الانسان اليومية ، وصحته الجسدية والعقلية ، فباستطاعة هذا العالم ان يقوم بدور اساسي في تطور مجتمع متماسك قادر على اداء مهمته بعمق ٠ فالاطباء الذين ينظر اليهم باعجاب واحترام احيانا وبعين الحسد أحيانا أخرى ، هم في جميع الاحيان امام امتحان دقيق من جميع الذين تصدمهم المقومات الاساسية للحياة العصرية ٠

العالم الطبي عالم مغلق :

كثيرا ما تساءلنا ، هل نحن واعون كأطباء لدورنا في المجتمع ؟٠ هل نحن متفاعلون بصدق مع واقع هذا المجتمع الذي نشأنا فيه ؟٠ هل حاولنا تفهم الصعوبات المختلفة والمعقدة التي يعاني منها الناس ؟٠ هل فكرنا ،كخطوة أولى ، بايجاد الصلات بالمجموعات الاخرى وخاصة منها المجموعات العلمية ؟٠ هنالك مثلا في قطر عربي شقيق تجمع مهني ، قام تلقائيا ، ويضم المهندسين والصيادلة والاطباء البشريين واطباء الاسنان والمحامين وهو يؤدي غرضا واضحا في التطوير والمساهمة في حل مشاكل المجتمع ٠

ولكي لا نطلب المستحيل هل حاولنا ضمن نطاق مهنتنا ، جمع فئاتنا المختلفة من أجل دراسة قضايانا المشتركة؟٠ فالاطباء الاحرار والاخصائيون في شتى الفروع واطباء المشافي والاطباء العسكريون واساتذة كلية الطب واطباء وزارة الصحة يشكلون مجموعات متمايزة ، افلا توجد صيغة ملائمة تجمع بين هذه الفئات من أجل وضع أسس سليمة لسياسة صحية في القطر ؟٠ فما هي اسباب هذا الانغلاق ؟ فمما لا شك فيه بان تنوع الخدمات الطبية والتعليمية عامل مفرق بين الاطباء كثيرا ما يفضي الى

التباعد واحيانا الى التنابذ فلدينا امثلة واضحة خلال الانتخابات النقابية اذ نشاهد ان كل فئة من فئات الاطباء تحاول دعم مرشحيها • وهذه الانتخابات تشير بوضوح الى اختلاف المصالح بين الاطباء مما يؤدي الى بروز الروح العصبية الفئوية • وقد يكون لعامل الصداقة أو الزمالة المهنية اثر في اقامة بعض الصلات بين أفراد الفئات المختلفة ولكن العامل الرئيسي الذي يلم شعثهم جميعا هو تعرض مصالحهم المباشرة للخطر وحينئذ فقط يجتمعون ويتداولون ويقررون •••

ومما لا ريب فيه ايضا بأن هذه الاهتمامات المصلحية هي نتيجة تمسك عالمنا الطبي بمواقعه القديمة وبقائه على ركوده فعلى الرغم من التقدم الطبي المذهل في السنوات الاخيرة فان المؤسسات الطبية والتعليمية عندنا لم تتقدم بشكل محسوس وكل ما هنالك ان بعض المستحدثات الفنية اضيفت الى طب تقليدي محافظ دون ان تحدث أي تبديل أو تطوير في القناعات العميقة فالقوى الطبية الراهنة تتدخل دوما لتكريس الاوضاع الحالية وتثبيتها وتعيق كل جهد يبذل لبعث الحياة في المؤسسات وتسييرها في طريق التطوير والتحديث •

أهمية الطب العام :

بعد ان اسهمنا قليلا في شرح واقع المجتمع والاطباء لا بد لنا ان نتعرض بشيء من التفصيل عن أهم المشكلات التي يعانيها الاطباء في ممارستهم اليومية وقد يسلط ذلك الضوء على ابرز الثغرات التي يمكن سد الكثير منها وايجاد الحلول الملائمة لها بالحوار المستمر بين الزملاء ولنبدأ أولا بالكلام عن أهمية الطبيب الممارس •

مما لاشك فيه بأن الانسان كائن اجتماعي ذو صلات ومواقف وفي تاريخ الطب الحديث لم يلق هذا الكائن الاحترام اللائق به فلقد عومل جسم الانسان كآلة خاضعة كغيرها من الآلات الى مبادىء تقسيم العمل وهكذا تحلق الاخصائيون حول هذا الجسم فتقاسموه : في الاعصاب ، في الهضم ، في القلب الخ ••• وبسبب تطور التكنيك الطبي برزت الاختصاصات الشعاعية والجراحية والبيولوجية، أما الامراض العقلية فأصبحت من اختصاص الاطباء النفسانيين ، بينما اكتفى اطباء الصحة الاجتماعية والعمل بدراسة عوامل البيئة المحيطة بالانسان• ولكن طب الانسان بمجموعه أو بقول آخر الطب العام الذي يعتمد على معلومات فنية والذي يحيط بالجسم والعقل والبيئة معا فلا يعار أي اهتمام بل هو لا يدرس •

ولا تحتاج أهمية الطب العام الممارس في بلادنا الى أي برهان • فهو الصق بالانسان واقدر على دراسة الملابسات المحيطة به كما ان هنالك أمورا فنية وادارية ومالية تجعل من العسير على المؤسسات الصحية ، في الوقت الحاضر على الاقل ، ايصال كافة التجهيزات الفنية الى الاماكن البعيدة وبالاضافة الى ذلك فمن الطبيعي ان يشكل الطبيب الممارس في المدن همزة الوصل الاساسية بين المرضى والاخصائيين اذ كثيرا ما تلتبس الامور على الناس فينمو الاختصاص على حساب الطب العام فمن المهم جدا اعادة تقييمه من جديد وتزويده باحدث المعلومات واذا كانت الاعتبارات الفنية والاختصاصية هي ذات أهمية قصوى في تقدم الطب فان مستقبل الطب لا يرتكز على هذه الاعتبارات فحسب بل ان الامر الذي لا يرقى اليه الشك بأن على الطبيب ان يكون انسانا يتحلى بالعلم والاخلاق في نفس الوقت •

ومن جهة أخرى فان تكاثف الاطباء في المدن وعزوفهم عن الخدمة في الريف وخاصة الاخصائيين منهم يحتم على المؤسسات التعليمية والصحية اعادة النظر في الموضوع لاعطاء الاولوية لتقييم جديد للطب العام فما هي الجدوى من وجود اخصائي بالاذن أو بالجلد أو بالاعصاب ، مثلا ، في مناطق نائية تفتقر اصلا الى الاطباء الممارسين ؟ الا ينبغي تعميق الطب الممارس وتسليحه باحدث المعلومات الطبية كي يقوم بدوره في معالجة المرضى في تلك الاماكن

البعيدة ؟ اليس الاجدى منح الرواتب المجزية للاطباء كي يخدموا ريفنا المفتقر اليهم بدلا من ان يتكدسوا في المدن الكبرى ؟ وكنتيجة عملية لهذا : ألا يتطلب ذلك احداث دورات طبية كل ٤ سنوات مثلا لكافة الاطباء الممارسين ، في المدن والريف ، حتى يستطيعوا القيام بدورهم الانساني كاملا ؟ ألايقتضينا ذلك ايضا ان نعيد النظر في المناهج التعليمية والطرق والاساليب المطبقة في كليات الطب عندنا من أجل تأهيل جديد للاطباء يرتكز على أسس علمية واخلاقية وانسانية ليساهموا بوضوح في حل مشاكلنا الصحية الملحة ؟

غاية الطب :

لذلك فان الناحية الاخلاقية ، التي المحنا اليها تثير فينا التساؤل : ما هي غاية الطب • ففي كثير من المجتمعات المتحضرة تجمد الطب ضمن اطر بيروقراطية وقانونية دون مراعاة للنواحي الانسانية فيه المعلوم بأن العمل الطبي هو التقاء اساسي بين معارف انسانية وعلمية واجتماعية ولذا حينما نوجه طلابنا لدراسة الفروع الطبية الا يجب ان يكون المعيار الرئيسي هو مدى قدرتهم على القيام بمهمتهم الانسانية اضافة الى معلوماتهم الفنية ؟ ومما لا شك فيه أنه لن تكون الوسيلة هي الحد من عددهم في بلد يفتقر الى الاطباء اذ ما هي الفائدة من الانجازات الفنية اذا عجز الاطباء القادرون على استخدامها ؟

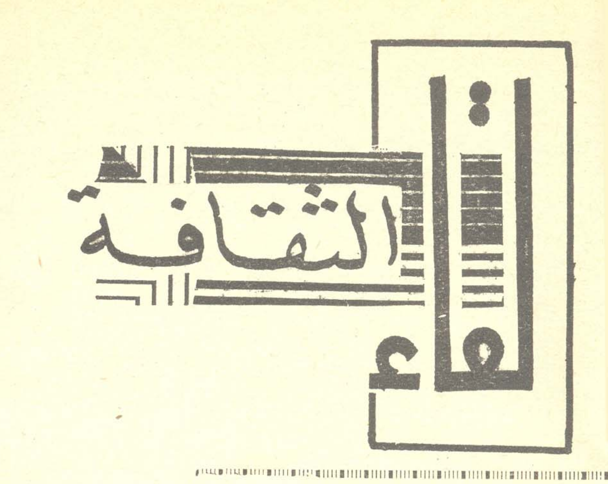
ومن هنا سؤال يفرض نفسه : ما هي غاية الطب ؟ هل هي العناية بالمريض أم شفاؤه أم اطالة عمره ؟ هل هي مساعدة البشر كي يكونوا احسن حالا أم وضع التشاخيص؟ هل يكفي تحضير الطلاب لوضع التشاخيص أم توجيههم ايضا كيف يعاملون المرضى ؟ هل نستعمل جميعا الفحوص التكميلية في مكانها الصحيح ؟ هل فكرنا بمدى فعالية الادوية واخطارها ؟ هل عملنا على الحد من استعمال المضادات الحيوية في غير مكانها المناسب وتخلصنا من اغراء شفاء المريض بسرعة ؟

ومن جهة أخرى كيف نعرف الوظائف الطبية بدقة ؟ ان اغلب طلاب الطب الذين يتخرجون من الكلية لايتوفر لهم اجراء ممارسات عملية كافية فكيف السبيل اذن لتقوية هذه الممارسات اثناء دراستهم لتصبح المعلومات النظرية مطابقة للواقع الذي يعيشون فيه ؟

ومما لا ريب فيه بأنه لكي نمارس كامل مسؤولياتنا يجب علينا أن نحدد وظائفنا الطبية بنسبة الكفاءة التي نتميز بها لان الشهادة في هذه الحالات أقل أهمية من الممارسة •

وخلاصة الامر فلكي نساهم في التخفيف من شقاء الانسان فاننا مدعوون الى احداث تطوير جذري للمفاهيم التي اعتدنا عليها اضافة الى الالتزام العلمي • وهذا التحويل العميق لقناعاتنا القديمة يتطلب منا ان نقبل اللقاء والاستماع – والحوار والنقد من داخل المجموعة لنتحاشى الهجوم والتجني والحسد من خارج المجموعة • وأسوف يجعلنا ذلك متأهبين وعلى استعداد نفسي لايجاد الصيغة المناسبة التي تتيح لنا فرصة الاتصال بالآخرين المنتمين الى أوساط ومهن مختلفة •

وقد يكون هذا التطوير مؤلما من الناحيتين المادية والمعنوية لانه يفترض ظهور وعي أوضح لمسؤولياتنا • فالاطباء يعلمون في الوقت الحاضر بأنهم لم يعودوا بمنأى عن النقد على المستويين الشخصي والجماعي ولهذا فمن الضرورة بمكان أن تصبح العلاقات بين الاطباء أنفسهم وبين الاطباء ومرضاهم وبين الاطباء والمجموعات الاخرى أكثر واقعية فالحوار لن يصبح مثمرا الا حينما تصبح المشاركة المفترضة هدفها تعاون الجميع لرفع مستوى عالم نعيش فيه وليس فقط الدفاع عن مصالح مجموعة معينة • ومقابل هذا الامر سوف نكسر طوق العزلة عن حياتنا المهنية وننطلق الى الآفاق التي تجعلنا أكثر التصاقا بقضايا الانسان وبالتالي أكثر قدرة على اداء دورنا الحقيقي في المجتمع •



فارس زرزور

عبد المسيح مقدسي

- أنا اول من كتب الحوارية في القطر
- التزامي وليد معاناة خاصة وعامة .
- الرمز ليس وسيلة شعبية وجماهيرية . نستطيع من خلالها الدخول الى اذهان الناس
- أعيش مع العاملين في سد الفرات . واكتب رواية عن هذا المشروع العظيم .

● ليس من السهل الاحاطة بكافة الجوانب التي تناولها حديثي مع الروائي فارس زرزور . كما انه ليس من السهل ايضا ذكر كل الاسباب والدوافع ، التي ارغمتني على اللقاء مع هذا الكاتب المدهش في كتابته ، والمدهش - اكثر من ذلك - في اختياره لطريقة خاصة في العيش ضمن هذا المجتمع .

لكن المصادفة كانت اقوى من جميع ما ذكرته .. ولان المصادفة ليست بمتناول يد المرء في اية لحظة . فانا اعتبر هذا الحديث من (الخبطات) الصحفية القليلة . التي يعتز بها المنتظمون في سلك صاحبة الجلالة - الصحافة - .

الادهش من هذا كله هو ان فارس زرزور الذي عرف عنه بأنه لا يعطي بالامر الهين .. وانه من النوع الذي لا يمكن له ان يفتح قلبه ليتحدث بانشراح الا في لحظات محدودة ونادرة . وفي مراحل زمنية معينة . حدثني عن كل شيء ابتداء من تجربته الاولى مع الحياة ، ومرورا بتجربته الروائية الحافلة بالعديد من المعطيات . والى ما لا ينتهي عند حدود مشروعه الاخير (كتابة رواية من سد الفرات العظيم) .

.. وفيما يلي اقدم نقلا امينا لما دار بيننا من حوار :

قلت لفارس زرزور : لن نبدأ حديثنا بالاستفسار عن مواليدك ، وعن اسم بلدك ، بالاضافة الى علاماتك الفارقة ، فهذه الامور جميعها نتركها مسجلة على صفحتي تذكرة هويتك الشخصية واظن انه من الحق لها ان تبقى مدونة داخل سجل قيد نفوسك ... لكن خير ما اتمنى ان تحدثني عنه . هو تجربتك الادبية .. التي هي من أهم الاشياء التي يجب ان يتعرف عليها القراء .

اريد ان تحدثني كيف بدأت؟.. ومتى ؟.. ولا بأس ان نؤخر او نقدم قليلا .. عندما تدعو الحاجة الى ذلك.. المهم أن نصل الى نتيجة مقبولة .. فحبذا لو بدأنا من خلال أعمالك الاخيرة .. والتي اتسمت بالطابع الحواري .

- فهل من الصحيح انك اول من كتب الحوارية في القطر ؟

طلب اعادة السؤال مرة أخرى ثم مالبث ان رد بهدوء:

= نعم انا اول من كتب الرواية الحوارية في القطر.

- ولكن ألا ترى معي ان اسلوب الحوارية يعتبر امرا غريبا ، وغير مألوف لدى العديد من القراء ؟..

= في بلدنا نعم .. لان الرواية الحوارية . قد تأخذ طريقها في - بلد - جرب جميع الصنوف الادبية .. وأصبح العمل الروائي فيها نوعا من الترف .. أما عندنا فأنا أول من لمست بأن عملي كان غريبا ، من حيث انه لم يجد الصدى المناسب - عند النقاد بشكل خاص - ولكنني اعتبرت بأن كتابتي للحوارية كانت عملا (ابن وقته) وابن ظروفه - وأستطيع أن أحدد ذلك بقولي : انني اكتشفت بأن احجام الناس عن القراءة يعود لسببين اثنين .. هما :

١ - اما الرغبة في توفير جهد معين وخاص تتطلبه قراءة الرواية ٠٠ ٢ - أو أنه الاهتمام بتوفير المال الذي يتطلبه ثمن الرواية ٠٠ ومن هنا وجدت أن الحوارية توفر جهدا للكاتب والقاريء معا ٠ بالاضافة الى المطبعة ٠٠ وانها تختصر عامل الوقت الذي تتطلبه قراءة العمل الروائي الضخم ٠ وهي تحافظ بنفس الوقت على المضمون الذي يريد أن يطرحه الكاتب ٠٠ وأنا برأيي أن المضمون أهم من الشكل ٠٠

- من الملاحظ عليك في كتابتك ٠٠ أنك لا تستقر على طريقة واحدة في الكتابة ٠٠ فأنت تقفز من شكل الى آخر ٠٠ مثل انتقالك من اسلوب السرد العام في رواية (حسن جبل) الى اسلوب السرد الذاتي أو (المونولوج) ٠٠ فهل تعتبر هذه الناحية تعجيزا للقارىء ؟ أم أنها محاولة خاصة ، ومقصودة ؟

= لا هذا ولا ذاك ٠ لا بل على العكس ٠ فأنا أكثر ما يهمني هو استيعاب القراء لكتاباتي ٠ في وقت قصير وسريع ايضا - وهذا ما ذكرته سابقا - والدليل على ذلك هو انني عندما كتبت رواية - حسن جبل - عايشت حسن جبل بشكل متلازم لفترة من الزمن كان عمره وقتها بحدود السبعين عاما ٠٠ فكتبت حوالي ٣٠٠ صفحة عن عشرة أيام فقط من حياته كلها ٠٠ ولما وجدت ان الكتابة عن الايام الاخرى التي عاشها تستنفد مدة أطول ، وعددا اكبر من الصفحات ٠ اكثرت نهج اسلوب الايحاء ، والرجوع الى الماضي من خلال الحاضر ٠ وهذا ما تجده في القسم الثاني من الرواية ٠

- ولكن الا تعتقد معي بأنك لو تابعت كتابة الرواية على نفس النهج الذي بدأتها فيه ٠ - ولو طالت قليلا - لكانت ظهرت بشكل أفضل وأجمل ؟

= لا أظن ٠٠٠ فالزيادة في عدد الصفحات ٠ ليس لها أي مبرر ٠٠ وأنا راض تمام الرضى عما كانت عليه (حسن جبل) ٠ الى جانب أنني أود لو أذكر عبارة لتشيخوف يقول فيها : (ان كلمة زائدة في العمل الادبي لا ضرورة لها ٠) وهذا برأيي خير رد على اعتقادك ٠

- اتسمت اعمال بعض الادباء في الفترة الاخيرة بطابع الرمز ٠ أو بمعنى آخر : لقد استخدم الادباء الرمز اسلوبا للتعبير ٠ ولقد تحدثنا عن الرواية والسرد بنوعيه العام - والخاص ٠ ما رأيك بالرمز ؟ وما هو موقفك منه؟

= الرمز هو وسيلة تعبير متقدمة وغير مباشرة ، ويجب استخدامها بطريقة جد تقنية وواعية ، كيما تستطيع القيام بدورها ٠ لذا لا يستطيع فهمها الا ذوي الحس الدقيق ٠ والثقافة العالية ، والقراءات الكثيرة لهذا النوع من الادب ٠٠ ومن هنا لا يمكن لنا أن نعتبرها وسيلة شعبية وجماهيرية نستطيع من خلالها الدخول الى أذهان وقلوب الناس العاديين ٠٠ وبكلمة أخرى أرى أن -الرمز- عملية هروب من الواقع ٠٠ فالكاتب الذي يحسن مواجهة الواقع - بمساوئه واخطائه وانحرافاته - من خلال لغة واقعية واسلوب مباشر ٠ يلجأ الى الرمز ٠ وهو كثيرا ما يفشل في اظهار الحقيقة ٠٠٠ لذلك فاننا غالبا ما نجد كثيرا من الناس وهم يتساءلون بعد قراءة قصة رمزية عن المعنى الذي يقصده الكاتب ؟ أو الشيء الذي يريد أن يقوله من خلال هذه القصة ٠

- نأتي الى المضمون ٠٠ المعروف عنك انك من كتاب الواقعية الاشتراكية في هذا القطر ٠ وهذا شيء ملموس من خلال كتاباتك الموجهة بشكل عفوي ومباشر الى الطبقة المسحوقة في المجتمع ٠ بالاضافة الى انك شخصيا توجت حوارية - الاشقياء والسادة - باهداء الى الاشقياء والمتمردين في هذا العالم ٠٠ فكيف تفسر التزامك ؟ ومن أين جاء ؟

= الالتزام جاء وليد معاناة خاصة وعامة ، عشتها بكل مرارتها وتفاصيلها ٠ فأنا أولا ابن حي الميدان - الحي الاكثر شعبية في دمشق - اضافة الى انني عشت مرحلة لا بأس بها من عمري في الارياف ٠ وأنا أتنقل مع الفلاحين من ريف الى آخر ٠ ومن منطقة الى اخرى متحسسا الواقع الاجتماعي المرير الذي كان يعيشه هؤلاء في ظل الاقطاع

والرجعية في تلك المراحل البائدة .. الى جانب همومي وتطلعاتي الثقافية التي التصقت مع هذا الواقع .

ـ هنالك من يتهمك بأنك التزمت الجانب الاجتماعي من القضية . وأنك أغفلت الجانب القومي .. فهل هذا الاتهام صحيح .. ولماذا لم تخص القضية الفلسطينية بعمل روائي كامل ؟..

= أثناء وجودي في الجيش « فارس زرزور ضابط سابق » كتبت الكثير من القصص القصيرة التي نشرت بمجلة الجندي في حينها . وأهم هذه القصص هي ـ احياء في قبور ـ الدخان ـ المجاهدون ـ حفنة من تراب . وغيرها وهي جميعا تمس القضية بشكل مباشر وبامكانك لو عدت الى مجموعتي : حتى القطرة الاخيرة .. و ٤٢ راكبا ونصف التأكد من ذلك . عدا عن أن أقاصيصي التي تتحدث عن الجندي العربي ومعاناته على الحدود السورية ـ الفلسطينية تتحدث عن القضية نفسها .

ـ الاتهام لا زال قائما بحيث أن غزارة الانتاج في ميدان القصة القصيرة مهما كانت كبيرة لا يمكن لها أن تؤدي حجم الدور الذي تؤديه الرواية . فما هو ردك على ذلك ؟..

ـ اولا : انا أعتز بالقصص القصيرة وبصورة خاصة تلك التي تحدثت من خلالها عن الجندي العربي منذ عام ١٩٤٨ . واعتبرها حديثا خاصا عن القضية الفلسطينية. لان قضية الجندي العربي والمواطن الفلسطيني واحدة لا يمكن لها أن تتجزأ .

على أية حال هنالك دراسة للدكتور حسام الخطيب في الموقف الادبي عدد ـ حزيران ـ تموز ١٩٧٥ يتحدث فيها عن كتاباتي الفلسطينية « بالاضافة الى أن أعمالي الاذاعية التي قدمتها طرحت هذا الموضوع بشكل واضح.. هذا من جهة . اما من جهة اخرى فأنا أعتبر روايتي .. لن تسقط المدينة ـ و ـ حسن جبل ـ قد اقتربتا بشكل غير مباشر من واقع القضية الذي نعيشه وذلك من خلال حديثهما عن الثورة السورية ضد الغزاة الفرنسيين . وكما ان قضية الجندي والمواطن العربي واحدة . فكذلك هي قضية الصراع ضد المحتلين .

ـ لك ما يقارب الكتب التسعة . منها الرواية ومنها مجموعة القصص . ومنها الحوارية السؤال الآن .. ما هي اول رواية كتبتها ؟

= رواياتي ـ اللا اجتماعيون هي اول رواية كتبت وآخر رواية نشرت .

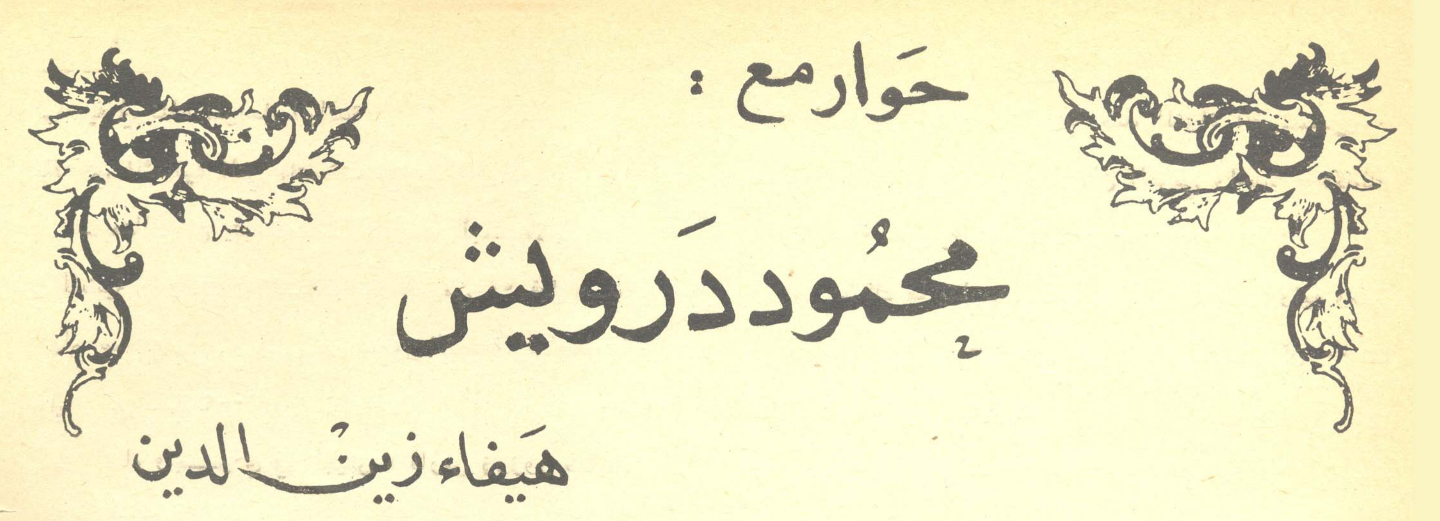
ـ وماذا عن المستقبل ؟

= كما ترى الآن . انني أعيش مع العاملين في مشروع السد العظيم . بصدد كتابة رواية تخلد انجاز هذا العمل الضخم وأرجو أن أوفق في ذلك .

وأخيرا لم يتوقف لقائي مع فارس زرزور عند هذه النقطة . فلقد تشعب الحديث حتى شمل العديد من المواضيع والجوانب . منها العام . ومنها الخاص .

منها ما هو للنشر ومنها ما هو لغيره على أن أهم ما أود أن أذكره هو أن فارس زرزور كان صريحا الى حد كبير وان صراحته تلك قادتنا الى حد اتخاذ موقف الصدام في أكثر من مرة . وعلى أية حال فهذه الحصيلة هي جزء من اللقاء الذي تم بيني وبينه . وهو جزء لم يتعرض فيه الزرزور الا لبعض الاتجاهات والمذاهب الادبية . وفي أعداد مقبلة سيكون لنا لقاء مع الجزء الثاني من حواري مع فارس زرزور . وان كل ما أتمناه من الزملاء ـ الرمزيين ـ وأنا احدهم على أية حال . أن يكونوا اكثر تقبلا واستيعابا لما جاء على لسان الكاتب . مع أملي الكبير في فتح صفحة حوار غايتها الوصول الى اقناع القراء بان أشكال الادب مهما اختلفت تظل تدور في منحى مضمونه . وان ما قاله فارس زرزور يعبر عن وجهة نظره الخاصة فقط ولنا عودة الى مثل هذا الموضوع في مرة قادمة .

عبد المسيح مقدسي ـ الثورة



حوار مع : محمود درويش

هيفاء زين الدين

اختتم الاسبوع الثقافي للهلال الاحمر الفلسطيني الذي أقيم في المركز الثقافي العربي بحمص مؤخرا ، اختتم بأمسية للشاعر العربي الفلسطيني الكبير محمود درويش ، ألقى خلالها بعضا من قصائده ٠

والشاعر محمود درويش غني عن التعريف داخل الارض المحتلة وخارجها ، وقد استطاع ايصال صوت الثورة الفلسطينية الى أنحاء العالم كافة ٠

ومع الشاعر العربي الذي وصل من بيروت رغم الاحداث الدامية الاخيرة ليلتقي مع محبي شعره ، كان لنا لقاء ٠

● في أحداث لبنان الاخيرة ، كنت من الادباء والشعراء الذين عاشو ا التجربة داخل بيروت ، فهل ظهر أثر هذه الاحداث في شعرك ؟

★ آخر قصيدة كتبتها ، بعنوان (يكتب الراوي : يموت) هي ليست عن بيروت ، رغم أنها مستوحاة من الحرب القذرة الدائرة في بيروت، لا أصف الجثث والحرائق، لكنني أتناول انسانية الكاتب حين يكتب عن مآسي الناس٠

يكتب المرء كثيرا ، ولكنه نادرا ما يكتشف أن أي موضوع وأي شيء وأية مادة قابلة للكتابة ، مثلا الجثة تصلح لأن تكون صورة شعرية ، والدم يصلح لان يكون لونا في قصيدة أو في لوحة ، هنا يقع التناقض بين واجب



الكاتب في التعبير عن مأساة الانسان ، وبين تناوله هذه المآسي بمهارة لغوية ، فيتحول البشر أثناء الكتابة الى لعبة كتابة ، بهذا أعني أن في الكتابة شيئا لا انسانيا ، وعن هذا الموضوع عبرت في قصيدتي الاخيرة ، فالكاتب حين يذهب الى الكتابة يذهب مدفوعا بحس التضامن والاحتجاج والانفعال، ولكن عملية الكتابة نفسها تتعارض أحيانا مع هذا التضامن من حيث حرص الكاتب على الصياغة الجميلة المنمقة :

ليس لي وجه على هذا الفراق

الشظايا جسدي

والمسافات عناق

. . . .

كل شيء قابل للاحتراق
في احتمالات الكتابة
الضحايا يا صورة شعرية
والدم ايقاع قصيدة
واندلاع النار في الغابة ،
والماء الطليعي ،
وعطر البرتقال الرحب ،
والموت دفاعا عن حصان أو عقيدة
في يد الشاعر شعر وعناق

★

يا الهي أين انسانيتي ؟
يا الهي كيف أنجو من مهارات اللغه
كل شيء في يد الشاعر شعر وعناق :
المسافات عناق
والتفاصيل عناق

★

ولـــذلك
يكتب الراوي على كل البيوت :
الحقيقي يموت
والحقيقي يموت

● المعروف عنك أنك شاعر غنائي ، مع أنك تكتب قصائد مركبة تطرح موضوعات معقدة – حسب طبيعة القضية التي تعيشها – كيف يمكن أن تصب هذه الافكار الصعبة بلغتك الغنائية المتميزة ؟

★ نعم أنا شاعر غنائي ، حتى قصائدي التي تبدو أنها صعبة لا تخرج كثيرا عن سياق الغنائية ، ولكن كثيرين من القراء يخلطون بين الغنائية كوسيلة تعبير ، وكنفس شعري ، وبين الرومانسية كمنهج شعري ، ولذلك يتم الخلط ،أو الانطباع الشائع ، بأن الغنائية صفة ملاصقة للرومانسية ، وأن ما هو غنائي هو رومانسي ، وحين تدخل القصيدة الغنائية في ميدان طرح الاسئلة ، والتعامل مع التناقضات ، يخلق الانطباع السريع بأنها خرجت عن غنائيتها ، وهذا ليس صحيحا ، أكرر بأنني شاعر غنائي ولست شاعرا رومانسيا ٠

ويبدو لي أن سوء التفاهم الذي ينجم أحيانا بين شعري الجديد وبين بعض قرائي يعود الى غياب المواكبة النقدية التي من واجبها أن تكون أحد أهم جسور الاتصال بين القصيدة وبين الناس ٠

لون شعري كله غنائي لأنه من الممكن أن يغنى كل شيء : الثورة قابلة للغناء ، والسؤال الفكري الصعب قابل للغناء ، وكل شيء مهما كان صعبا يتحول في يد الشاعر الى أغنية ٠

● يبدو أن محمود درويش نفسه قصيدة ٠٠

★ وصف جميل ، يتمنى كل شاعر أن يستحقه ، كل قارىء يعتبر شاعره قصيدة ، ولكن ليس هنالك شاعر واحد يصدق بأنه قصيدة ٠ الشاعر – واني أحذر نفسي من التعميم–انسان رتيب وممل وعادي جدا بين قصيدتين، ولا يشعر بأنه شاعر الا أثناء الكتابة ٠

● اسم « ريتا »تردد في شعرك داخل الارض المحتلة، واختفى بعد خروجك منها ليعود من جديد في بعض قصائدك الاخيرة ٠٠ من هي « ريتا » شعريا ؟

★ اختفت ريتا سنوات وعادت في أحدث قصائدي ، وقد تكون من أجملها صحوة ريتا في (بتشديد الياء) ٠

لقد هاجمتني في الايام الاخيرة واحتلتني وهزمتني وصرت حزينا ، ولم أستطع أن أصدها الا حين كتبتها .

كتبت ريتا أخيرا فهزمتها . ريتا اسم غير موجود لامرأة أعرفها ، كل برق يخترق عمودي الفقري فجأة أسميه ريتا . كل غيم يغطيني — وهذا يحدث قليلا — اسميه ريتا ، ريتا ليست امرأة محدودة على الرغم من أن مصدر الاسم يعود الى امرأة محددة .

● تردد كذلك اسم سرحان في شعرك ونثرك ، فمن هو سرحان ؟

★سرحان من حيث الاسم يشبه ريتا من حيث الاسم، ولكن من حيث الحالة ،سرحان هو أنا أحيانا ، أنا في بحثي عن صيغة التبلور عبر سراديب من الاسئلة النفسية والفلسفية ، من الشك واليقين ، من الثوري الذي يخترقه أحيانا سؤال عدمي ويتغلب عليه ، شاع فهم خاطىء بأن سرحان هو سرحان بشارة سرحان على الرغم من أن هذا الفهم الخاطىء ليس خاطئا بشكل مطلق ، والصحة فيه هي أن سرحان بشارة سرحان ساعدني على اجراء عملية التعارف بيني وبين سرحاني ، ذهبت في البداية لاكتب سرحان بشارة سرحان ، فوجدت نفسي وطردت سرحان الاول .

● في قصائدك الاخيرة اتجهت الى الوضوح ، بعد ان اتصف شعرك الذي أعقب خروجك من الارض المحتلة بالرمزية . ماذا تقول ؟

★ أنا واضح .. واضح جدا ، ولكن أكون غامضا أحيانا في وضوحي ، وأريد وأتمنى أن نحسم تحديد الفرق بين الوضوح والسذاجة ، لقد تعبت من توضيح وضوحي ، والمؤسف أنني لم أدع يوما الى توضيح غموضي ، ان ما يسمى غامضا في شعري هو الواضح ، وما يسمى واضحا هو الغامض .

● « تلك صورتها وهذا انتحار العاشق »..اعتبرها بعضهم خلاصة مرحلة ما بعد خروجك من الارض المحتلة ، واعتبر بعضهم أنك وضعت فيها الكثير من أفكارك ان لم نقل كلها ، فما رأيك ؟

★ قد يقال الكثير عن « تلك صورتها .. » وأريد أن أعترف بأنني أقل الناس قدرة على الكلام عن هذه القصيدة،ألا يكفي أنني قلتها؟فكيف أقول عنها بعدها..ولكن اذا وضعت في غرفة التعذيب وسئلت ، فلن أقول أكثر من أنني في « تلك صورتها .. »قد امتلكت فلسطين واغتصبتها ، فلسطين التي سيتم اللقاء بها .. فلسطين التي ستنجز وتتضح تفاصيلها وليست كلها جميلة .. انها لنا .. لنا .. ولنا بحماستها وتفاصيلها الاخرى ، واذا كنتم بحاجة الى من يقول عنها أكثر فاسألوا العزيز الشاعر أحمد دحبور .

● هناك مفردات وأشياء صغيرة أود لو أعطيتني تعريفات صغيرة لها :

— ذاكرة الشعر

★ زنزانة بدون جدران .

— الصورة ، المفهوم ، الايقاع .

★ الفكرة وقد تزوجت .

— حيفا ، موسكو ، القاهرة ، بيروت ، والآن حمص.

★ حيفا — أنا العاشق المغامر .

موسكو — أنا الخطوة التالية .

القاهرة — أنا المسافر العابر .

بيروت — أنا القتيل المغني .

حمص — أنا البسيط .



الفجر الكاذب

بقلم

أحمد عبد السلام البقالي

بقلم

ـ المغرب ـ

ما يزال شيوخ المدينة الصغيرة على المحيط يذكرون ذلك الخميس من سنة ١٩٠٥ .. فتحت أبواب المدينة في الصباح .. وامتلأ السوق أكثر من العادة .. ورغم ذلك لم يكن البيع أو الشراء كبيرين الا فيما يخص تجارة السلاح الابيض .. وقد ارجع البعض ذلك الى اقتراب عيد الأضحى المبارك .

كان سيدي بومهدي ، شيخ الطريقة بالمدينة ، يعد العدة لاقامة حفلة خاصة لم يعرف أحد مناسبتها .. وكالعادة ، حضر كثير من أنصار الطريقة من الضواحي القريبة والبعيدة .

كانوا جميعا من محبي الحضرة والرقص على الغيطة والطبل ساعات طويلة .. وتوقع سكان المدينة أن يسمعوا صخب الحفلة حتى ساعة متأخرة من الليل .. الا أنه لم يكن هناك صخب بالمرة .. مما جعل باشا المدينة يقضي ليلته متقلبا على فراشه الناعم بلا نوم .

الشيخ بومهدي يكرهه .. يحسده على منصبه الذي كان يريده لنفسه ، ويعمل بشتى الوسائل لاقتلاعه منه .. الا أن كلمة وسطاء الشيخ في « فاس » ليس لها وزن وسطائه هو ... ولكن .. ما أبعد « فاس » هذه الأيام !.

البلد معزول بعضه عن بعض . « السيسبة » والثورات ، وعصابات قطّاع الطرق تعيث في جميع أنحاء المملكة .. وكل « رقّاص » يذهب لا يعود .. وخصوصا اذا كان يحمل بريدا ثمينا .

هذه المدينة اذن هي مملكته هو .. عليه أن يحميها بحد سلاحه .. ولا ينتظر النجدة من أحد .

★ ★ ★

وفي دار شرفاء الطريقة ، ذات الفناء الواسع ، كانت حلقة واسعة مزدحمة يتوسطها الشيخ بومهدي بنفسه تحت التينة العجوز النابتة وسط الدار .

ومشّط الشيخ الجليل لحيته الحمراء وهو ينظر بعينين زرقاوين الى الشمعدان المثلث ، وألسن الشمعات تلقي أضواءها الذهبية المتقاطعة راقصة على وجهه المحتقن فتزيده مهابة وجلالا .

وكان الحاضرون ينظرون اليه بخشوع وقد أخذوا بمنظره الرهيب ، وبعد فترة صمت رفع الشيخ رأسه وبدأ يتكلم ..

تكلم عن حالة البلد عامة .. عن الفساد المنتشر ، الرشوة ، المحسوبية ، سرقة خزائن الدولة تولية الفجار على أعناق المسلمين .. وبدأ زفير الغيظ يسمع بين الحاضرين ، فزاد الشيخ في اذكائه .

« سنبدأ من هنا .. سنبدأ بتطهير هذه البقعة من الفساد .. باشا هذه المدينة حامل علم الفسوق بها ، لم يحضر صلاة الجمعة الماضية .. »

وهنا تعالت أصوات الاستنكار فزاد الشيخ : «وقد شاهده رجل من ثقاتنا من شباك قلعته يشير لامرأة فوق سطح مجاور » !

وهنا زادت الأصوات حدة .. ووقف بعض الأفراد هنا وهناك ، وقد رفعوا العكاكيز والهراوات يلوحون بها في الهواء ، والباقون يحاولون اجلاسهم بالقوة .. وخلع الشيخ عمامته البيضاء وضرب بها الارض في ثورة رهيبة : « هو الباشا يجب قتله شرعا .. يجب قتله شرعا .. يجب قتله شرعا » .

ثم اغمض عينيه ، ورفع وجهه الى السماء ، ومد ذراعيه

مخاطبا الملكوت الاعلى في خشوع رائع : « اللهم اشهد ، اني قد بلغت ٠٠ » ولمعت قطرات الدمع في عينيه ، تنعكس عليه أشعة السنة اللهب الذهبية ٠

وهنا ارتفع صوت الغيطة الحاد ، ثم أعقبها الطبل في لحن الطريقة العميق الحزين ٠ وبدأ القوم يخلعون جلابيبهم ويلقون بها ، ويدخلون الحلقة « للحير » وعلى وجوههم الصفراء علامات الهستريا والتشنج ٠٠

وقام الشيخ فضرب برجليه ايذانا ببدء « الحيرة » ودخل وسط الجماعة ينظم الصف حسب ما تقتضيه العادة والعرف ٠٠ وظلت الغيطة منطلقة حادة تشق سكون الليل الوادع ، وقد انتفخت أحناك الغياطين فصاروا كالبجع داخل بحيرة ٠ ٠ وعند أخر الليل ، كانت الالحان قد تغيرت مرارا ، ووصلت الحيرة الى قمة عنفها ٠

* * *

وارتاح الباشا نوعا حين بدأت الغيطة ٠ ٠ ولكنه بقي ينتظر الاخبار ٠ وحين قيل له ان الشيخ قد وزع السكاكين والخناجر على جميع الرجال في بيته ، وأنهم لم يستعملوها حتى الان في شيء تفاقم قلقه ٠ لماذا أعطاهم الشيخ اللعين هذه الخناجر ؟ !

نظر الباشا الضخم الجثة من شباك قلعته الى البحر الصاخب وهو يلعب باصبعه في لحيته الكثة السوداء ، وقد تقارب حاجباه الكثيفان وجحظت عيناه الكبيرتان ٠ ٠

كان يعرف أن الشيخ يحسده على كل شيء يملك ٠٠ اصطبل خيله العراب المسومة ، وقلعته التي تشرف على البحر ، بغرفها المزخرفة ، وقبابها العالية ،وأثاثها الفخم ، ثم نسائه الاربع الجميلات ، وبقية السراري والمحظيات المستوردات من طنجة وتطوان وبلاد الروم ٠ ويحسده اكثر من كل هذا على ضخامة جثته ، وبروز بطنه ، المظهر الذي رشحه لتولي هذا المنصب المهم ٠ ٠

وحرك رأسه حزينا على ترك كل هذا اذا قرر الشيخ اللعين الهجوم عليه ٠٠ وحاميته لا تتجاوز الخمسين ، تتفرق كالغنم عند سماع أول رصاصة ٠ ثبت له ذلك بالتجربة ٠ وفجأة لمعت في رأسه الكبير فكرة ٠ ٠ فصاح مناديا رئيس الحامية ليبحث معه خطة دفاع جديدة خطرت له ٠

في الشارع الكبير المؤدي الى دار الباشا خزائن كبيرة للقطاني والخضار مقفلة ، يمكن أن تستعمل لرد الهجوم المتوقع اذا حدث ٠ وقعد الباشا وقائد حاميته رأسا لرأس يضعان خطة رد الهجوم ٠

* * *

وطلع الفجر ٠٠ وملأت أضواء المدينة شوارعها الملتوية المرصوفة بالحصى الكبيرة ٠ ٠ وسكتت الغيطة والطبل فجأة ٠٠

وانفتح باب دار الشيخ ، وتدفقت منه جموع أنصار الطريقة في قمصانهم الدامية ، وهم حفاة عراة الرؤوس ، فوق رؤوسهم الحليقة ، وجحظت عيونهم ، وتحجرت أيديهم على الخناجر وهم في طريقهم نحو دار الباشا ٠

ووصل الخبر للباشا فأعطى اشارته لرجال الحامية لبدء العمل ٠٠ واقترب الموكب الثائر من الدار ٠٠ ودخل الشارع الكبير المؤدي الى القلعة ٠٠ وما أن توسطه الجمهور الراغي المزبد حتى وقد ارتفعت ضفائرهم المنفوشة انفتحت أبواب الخزائن التي كانت مملوءة حتى السقوف بالبطيخ و « الدلاح » على مصراعيها ، وتدفق منها سيل هائل من الفاكهة المكورة الثقيلة حول الجموع ، فدخلت بين سيقانهم وتكسر بعضها وانشرخ ، فبانت حمرته المغرية ٠

وامتد الايدي تلتقط القطع الحمراء ، وانحنت الرؤوس تختار بين الذي لم ينكسر بعد واشتغلت الخناجر والسكاكين ٠ وسالت المياه الحمراء على الذقون والاعناق والصدور ٠٠ وهدأت ثورة النفوس ، وارتخت الاعصاب المتوترة حين امتلأت البطون ٠٠ ولم تلبث أن نشبت معركة بقشور البطيخ والدلاح عملا بالمثل القائل : « اذا شبعت غنت ! » وتعالت قهقهات الجماعة وعربدتها ٠

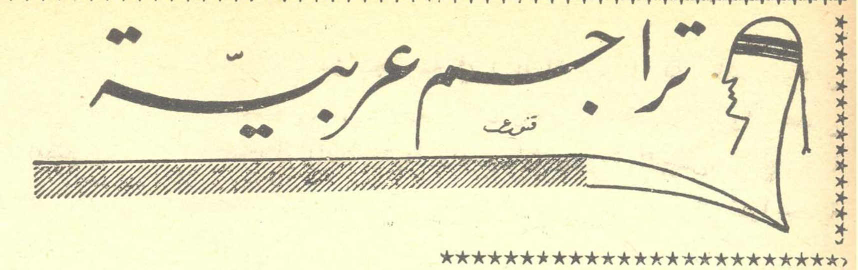
* * *

وصدم الشيخ أن يرى المصير المؤلم الذي انتهت اليه ثورته الهادرة ٠٠ فوقف يصرخ فيهم أن يقوموا لمجاهدة الكافر وقتله ٠ وبينما هو كذلك ، اذ وقع على وجهه نصف دلاحة فاسدة ، فأسكته ووسخ ملابسه البيضاء ، وحول هندامه الجليل الى منظر هزلي مشين ٠

وبعد نصف يوم من الحيرة ، مد أعوان الباشا سماطا حافلا بجميع انواع المأكولات الشهية ، من خرفان مشوية ، وأسماك مقلية ، وحلوى ومشروبات من كل طعم ولون ٠ وفي الليل افترق الجمع ، وذهب كل رجل من انصار الطريقة سابقا الى قريته يجر وراءه كبشا سمينا هدية من سعادة الباشا ٠

وسارع انصار الباشا من جنود الحامية الى أبواب المدينة فأقفلوها خلف أخر ثائر ٠

وجذب الباشا نفسا عميقا من « سبيه » المزوق ، ونفث الدخان من بين أسنانه السوداء ، وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة ٠



خالد بن الوليد وعبقريته العسكرية

للدكتور نادر العطار

في تاريخ العروبة صفحات مشرقة من اعمال العبقريات العسكرية التي استطاعت على مشهد من التاريخ ان تزيل عروش الاكاسرة وتنتزع مملكات القياصرة وتمتد بالامبراطورية العربية من فرنسا واسبانيا غربا حتى الهند والصين شرقا وان نرسم لهذه الامة الخالدة صفحة ناصعة حليت بها صدور الاسفار وتغنت بها الاجيال وحظيت تفاصيلها بعناية الكتاب والرواة والادب والتاريخ .

وكان من ابرز تلك الشخصيات العسكرية خالد بن الوليد الذي يكاد يجمع المؤرخون على انه ولد حول سنة خمس وعشرين قبل الهجرة من اسرة عريقة هي اسرة المغيرة بن عبد الله بن مخزوم التي كانت تنافس بني عبد مناف في قريش الشرف والشهرة فنشأ صبيا عربيا يلهو مع لداته في تلك الربوع الفينانة حتى مضت طفولته فقام الى صباه يمد بصره الى تلك العزة الشاملة وذلك المجد العربي يتلقاه من قبل أبويه فمضى على ميوله للفروسية وعرف بين قومه بالحيلة العسكرية والبراعة في القتال حتى قال عنه صاحب الاستيعاب :

(وكان خالد أحد أشراف قريش في الجاهلية ، واليه كانت القبة والأعنة) .

ثم ظهر الاسلام في الجزيرة العربية وقامت في وجهه المعارضة الشديدة وحدثت غزوة بدر فاذا باسم خالد لا يذكر فيها ولكنه يظهر بقوة في غزوة أحد حيث رد نصر المسلمين الى انسحاب وقلب الموقف العسكري فيها رأسا على عقب وتمر الأيام ، وخالد يؤيد قريشا ويقود فرسانها ضد المسلمين حتى تنتهي غزوة الحديبية الى ما انتهت اليه ويدرك القائد المحنك ما تخبئه الأيام لهذا الدين الحنيف من مستقبل لامع ثم يصله كتاب من أخيه الوليد بن الوليد (وكان قد سبقه الى الاسلام) يقول فيما يقول (.. وقد سألني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أين خالد ؟.. فقلت .. يأتي الله به فقال .. ما مثل خالد يجهل الاسلام ولو كان جعل نكايته وحده مع المسلمين على المشركين لكان خيرا له ولقدمناه على غيره الخ ..) فصمم خالد على الهدى وبلغ أبا سفيان الخبر فأخذ منه الغيظ وقال :

(واللات والعزى لو أعلم أن الذي تقول حق لبدأت بك قبل محمد) .

فأجابه خالد (فوالله انه لحق على رغم من رغم) .

فاندفع نحوه ولكن عكرمة وقف بينهما ورد أبا سفيان عنه .

وبأسلام خالد تفتحت الآفاق امام عبقريته العسكرية على مر الزمان حين اتخذ العرب لانفسهم وجهة اجتماعية اخرى اظهر ما كان فيها تلك الصفة الخلقية الناشئة عن روح ذلك التشريع الجديد ومسلك هذا الدين الحنيف واتجهت الانظار الى الحدود الشمالية فكانت غزوة مؤتة التي قتل فيها القواد الثلاث على التوالي .. زيد بن حارثة ، وجعفر بن ابي طالب ، وعبد الله بن رواحة ، وأشتد الامر على المسلمين فاستلم خالد الزمام رغم تحرج الموقف .

ودار بالمسلمين حتى ضم صفوفهم واستعاض عن المجابهة الصمودية باساليب الكر والفر حتى ارخى الظلام اجنحته السوداء على هدنة بين الجيشين فوزع خالد بعض رجاله على خط طويل في المؤخرة احدثوا عند الصباح من الضجة ما ادخل في ردع الروم انهم قد تلقوا النجدات الكثيفة فأحجموا عن الهجوم وتم انسحاب الجيش العربي الاسلامي بفضل حنكة قائده وحسن درايته . وكانت غزوة تبوك ، وأرسل خالد الى دومة الجندل حيث استولى على المدينة بخمس مائة فارس وأسر اميرها أكيدر الذي أسلم وأصبح حليفا ونصيرا ثم توالت الاحداث وبدأت حروب الردة وأرسل خالد أيضا لمجابهتها بقوات لا تقل عن أربعة آلاف مقاتل فبدأ معاركه مع طليحة بن خويلد الاسدي وأذهل جيشه بهجوم من القلب قاده بنفسه بعد تراجع الجناحين ثم دار حوله لاحكام الحلقة عليه واعمل فيه السيف وقد عاد الى الاسلام الكثيرون من بني أسد أثر هذه المعركة واستتب الامر للخلافة بانضمام قبائل طيء وبني عامر الى الدولة العربية الجديدة ، فزحف خالد الى بني تميم وبث بذور التفرقة بن أعوان مالك بن نويرة

حتى انفضوا من حوله وتفرق مؤيدوه ثم قضى عليه وتوجه بعد ذلك الى اليمامة لقتال مسيلمة وسجاح بعد ان حاول تفريق أعوانهما من حولهما وسحق جيشهما بعد الكثير من المناورات والمداورات التي دلت على براعته في هذا الميدان وقد حل في اليمامة حتى تلقى أمر أبي بكر بالزحف الى الشمال لحرب الفرس فتوجه الى هناك حيث اجتمع بالمثنى وبحث معه الموقف الحربي ومواقع الفرس وقواتهم وطرق مواصلاتهم والمواقع التي حدثت قبل وصوله فحزم أمره ووضع الخطة ولعل المجال يضيق في مقال صغير عن ذكر مآثر خالد وانتصاراته العسكرية في العراق والشام فقد تمكن من سحق اربعة جيوش فارسية في شهرين وتابع سيره من نصر الى نصر في وادي الدجلة ثم الفرات حتى ورده أمر الخليفة بالتوجه الى الشام فعبر الصحراء في قسم من جيشه تاركا جيش العراق تحت امرة المثنى ، واحتل المدن الشامية ثم غادرها مسرعا الى اليرموك حيث قاد المعركة التي قررت مصير الشام في التاريخ وقد دلت جميع المعارك التي خاضها هذا القائد الذي لم يغلب على دراية وحنكة عسكريتين في كل من الناحيتين الفنية والاستراتيجية ، كان خالد يعبىء جيشه على أربعة فرق احداها في المقدمة للاستكشاف والثلاث الباقيات تصطف على شكل حدوة الحصان في الميمنة والميسرة والقلب الذي يقوده غالبا بنفسه مع اشجع رجاله ويركز عليه اكثر خططه واذا كان المؤرخون يعتبرون نابوليون مجددا في الفن العسكري اذ قسم جيشه الى فرق خفيفة واعتمد الوسطى منها (أي القلب) فان التاريخ يشهد لخالد بأنه سبق نابوليون الى ذلك بالف ومائة وسبعين سنة وكان خالد لا يسير الا وهو على أتم الاستعداد لخوض المعركة حالا ويبدأ بخصومه قبل ان يتجمعوا مستفيدا من مبدأ المباداهة في الحرب على أوسع نطاق ويغتنم كل الفرص الطارئة لصالح جيشه وقد خدمه عنصر المفاجأة هذا الى أبعد حد فاذا وجد ان العدو قد تجمع حاول أن يفرقه بارسال الكتب والرسل وحاوره وداوره حتى تحين الفرصة فيضربه ضربته القاضية ٠

وهنا تتجلى لنا ميزة أخرى وهي حسن اختيار الزمان والمكان فقد كان احيانا يهاجم ليلا واحيانا اخرى ينتقل من مكان الى آخر مفضلا مواقعة العدو فيه كما فعل في معركة اليرموك حيث اختار لها يوما أغبر هبت فيه عواصف رملية أعمت عيون العدو والحقت به الهزيمة واوقعت من نجا منه في (الواقوصة) التي قضت على عدد كبير من الروم وكان يفضل تمزيق الجيوش على احتلال المدن يقينا منه بان هزيمة الجيش تؤدي حتما الى اخذ المدن فاذا تم احتلاله لمدينة ما ترك فيها حامية صغيرة ٠٠

وزحف الى غيرها جاعلا استيلاءه على البلاد بذلك دائما لا من قبل الغزو والاكتفاء بها بالغنيمة ٠

كل هذه العوامل جعلته قائدا دائم الظفر والغلبة واذا كان بقية القواد العظام في التاريخ يتمتعون بنوع من العصبية والانانية والاعتداد بالرأي والسعي وراء الشهرة والسيادة ، كالاسكندر ويوليوس قيصر ونابليون فان خالد كان مثال الطاعة وضبط الاعصاب ٠

اعطى خالد ذات مرة الاشمث بن قيس احد امراء كندة عشرة آلاف درهم فلما سمع عمر بذلك (وكان **قد تولى الخلافة وعزل خالدا من القيادة العامة**) استشاط غضبا وارسل بلالا للتحقيق معه وكان خالد في المسجد فاذا بابي عبيدة – القائد العام – يقدم اليه بلالا ويسأل هذا في عنف أمن ماله الخاص اجاز الاشعث أم من مال المسلمين ؟ ٠٠ ثم يقوم اليه فيحل عمامته ويكتفه بها وخالد ساكت مندهش والمسلمون من حولهما يتهامسون ويلغطون ثم ينقلب الهمس الى ضجيج ويستعدون لنصرة قائدهم العظيم الذي ينال رسول عمر **من كرامته بهذا المقدار ولكن خالدا يتلافى الازمة ويجيب** بكل تواضع بانه اعطاه من ماله الخاص ففك عقاله ومرة اخرى يرسل عمر الامر بعزل خالد ومرة أخرى يطيع هذا القائد العظيم امر الخليفة فيودع الناس ويرحل الى المدينة هكذا كانت اخلاق القائد الذي ترك في التاريخ ابرز الاثر ايد الاسلام في ربوع الجزيرة العربية ونشره في العراق وكان سيف الله في كل صعوبة يلقاها غيره من القواد والقوة التي يضرب الصديق عدوه حيثما بدت غلبته ٠

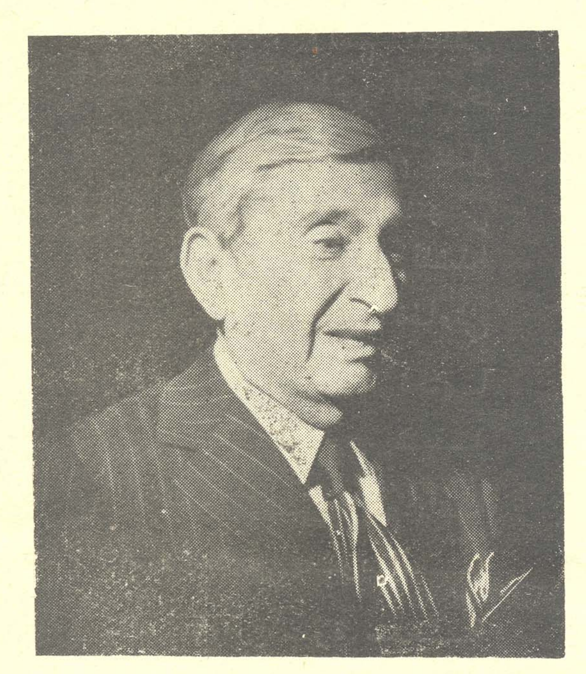
وعاد خالد الى عاصمة الدولة العربية حيث قضى نحبه على فراشه كأي رجل عادي آخر بعد ان افضى الى الدنيا باسرار العبقرية العظيمة ووضع على جبين الزمان اكاليل الخلود والشهرة وكان احد القواد العرب الذين وعت سيرتهم الصدور وتوارثت فنهم الاعقاب حتى اصبحت اخبارهم ديوان التاريخ وسجل حكمة وينبوع مجد وفخار ٠

الدكتور نادر العطار

النبع المسحور

بقلم

بدوي الجبل



بردك فوق الخصر جار الرؤى
فخلفه تطفر جنيتان
شيطانتان اصطفتا جنة
قد تؤنس الجنة شيطانتان
دارت على الظمأى حمياهما
فاللهو في الجنة طلق العنان
يدنيهما الشوق ولم تدنوا
فهل هما نهدان أم نجمتان
تموج ألحان الصبا فيهما
كأنما نهداك اغرودتان
عشان لا للطير بل للهوى
عشان ، بل للطيب قارورتان

★ ★ ★

عندي طيوب لك اعددتها
رشا على حسنك رياهما
حسنك عطر العطر في جنتي
فاغدي على الرمل وروحي، يضع
عيناك بحر حين أغفى انحنت
تغفو بعينيك طيوف المنى
قلبي وقرطاك حليفا ضنى
وخصلتان ارتاحتا في يدي
شذاهما باق وان غابتا
تغامزين البدر في موعد
تنمنم الاحلام فضية

عطر لباناتي وعطر البيان
فهل درى عطراي ما يفعلان
على غناها - ولبان اللبان
ورد ويفرش طيبه أقحوان
فلملمت أحلامه الضفتان
عيناك للاشواق أرجوحتان
ألم يئن أن يتعب الخافقان
من الدجى المخمور مسكوبتان
كأنما فرعاك ريحانتان
ففرت لما التقت الغمزتان
وتنسج الشمس لك الارجوان

وملكك البدر وشمس الضحى   وما يصوغان وما يغزلان
قد باح جفناك بسر الدجى   جفناك من سر الدجى مترعان

تضحك عيناك وان جدتا   لا سحر في عينين لا تضحكان
تنطق عيناك ولم تنطقي   وقد تطيلان وقد توجزان
ألم تضيقا بمعاني الهوى   ألا تلومان ، ألا تعتبان ؟

رشيقة الاحزان والقد ، هل   ينبت في جمر الغضا غصن بان
نزلت قلبي سدرة المنتهى   ما أرز لبنان ، وما الغوطتان ؟
وبيننا قربى الشذا للشذا   الحسن والشعر رضيعا لبان
ترشف من نهديك اغفاءتي   كأسين قد أترعتا بنت حان

طافت بك الكأس فرنحتها   وجن لما شمك الزعفران
نبع الصبا المسحور يشتفه   قلبي وهذا الحسن والفرقدان

نشتفه حتى ثمالاته   فنحن لا نفنى ، ويفنى الزمان
نشتفه حتى يعود الصبا   واللمة السوداء والعنفوان

وبيتنا في ربوة سمحة   حلوالسفوح الخضر حلوالرعان
وغابة يغفو الضحى عندها   وشمسها تغرب قبل الاوان

قبورنا فيها ، ولا وحشة ،   يؤنسها في الوحدة السنديان
وقبة تحرس كنز الدجى   كأنها في الغابة الديدبان

والنبع والقبة في هدأة   يسرع دهر وهما وانيان
ما هزت الدنيا أناتيهما   فتغرب الدنيا ولا يدهشان
ولوحت من بعض أفيائنا   كفان بالحناء مخضوبتان

حضنت في السمراء دنيا المنى   حين التقينا كبر العالمان

جزنا حدود الكون حتى التقى   كل مغيب عندنا بالعيان

وعاد للانجم ما ضاع من   أضوائها واعتنق الازهران

واختصر الدنيا شذا مسكر ... أو لهفة عذراء أو قبلتان

بحت بأسراري ، فعبوا الشذا ... فضت عن الراح العتيق الدنان

ما غاب عن أعراسنا أهلنا ... الشمس والانجم في المهرجان

والناس لا تعرف أحزاننا ... يرثي لنا الشوق ويبكي الحنان

يرفعني الموج الى شاهق ... وحطني ٠٠ لا تهدأ الكفتان

زلزلت الامواج زلزالها ... واحتضنتها دجنة من دخان

قد رجها العاصف حتى طفا ... لؤلؤها ـ طوع يدي ـ والجمان

ومحنة طالت وأكرمتها ... بالصبر حتى مل دهر فلان

لا يقنط الحر ولا يشتكي ... لكل بحر هائج شاطئان

فتشت عن خوفي فلم ألقه ... كيف أرى الخوف وأنت الامان

قربنا الله ففوق الزمان ... نحن مع النور ، وفوق المكان

يضوىء الظلمة ايماننا ... ويسكر الفجر رحيق الاذان

نحن وقلبانا وأسرارنا ... شوق الى الله وأغنيتان

أوجهه أم بيته قبلتي ... أستغفر الله فلي قبلتان

نريد جمرا لبخور الهوى ... في النار هذا الجمر، لا في الجنان

صلاتنا النور فمن وهجها ... شع الضحى ، وائتلق النيران

من وردنا « الزهرة » تسبيحة ... والصبح والنجمة تكبيرتان

تغمزني الشمس عناق الهوى ... فلفني من فرعها خصلتان

وجهي ـ ولم تخدع أساريره ـ ... والقلب مرآتان مجلوتان

كتبت « بسم الله » فالطرس من ... عدن « وبسم الله » حوريتان

لم يعنني عسر ولا غربة ... الله والحسن هما المستعان

عريت فقري عند بابيهما ... وتعذب الشكوى، ويحلو الهوان

بدوي الجبل



أندلسية في طائرة

عمر ابو ريشة

وثبت تستقرب النجم مجالا ... وتجر الذيل في الافق اختيالا

وحيالي غادة تلعب في ... شعرها المائج غنجا ، ودلالا

طلعة ريا وشيء باهر ... أجمال ؟! جل أن يسمى جمالا

فتبسمت لها ، فابتسمت ... وأجالت في ألحاظها كسالى

كل حرف زل عن مرشفها ... نثر الطيب يمينا ، وشمالا

قلت : يا حسناء من أنت ومن ... أي دوح أفرع الغصن وطالا

فرنت شامخة أحسبها ... فوق انساب البرايا تتعالى

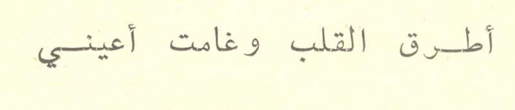
وأجابت أنا من أندلس ... جنة الدنيا عبيرا وظلالا

وجدودي ألمح الدهر على ... ذكرهم يطوي جناحيه جلالا

حملوا الشرق سناء وسنى ... وتخطوا ملعب الغرب نضالا

أفرع المجد على آثارهم ... وتحدى بعدما زالوا الزوالا

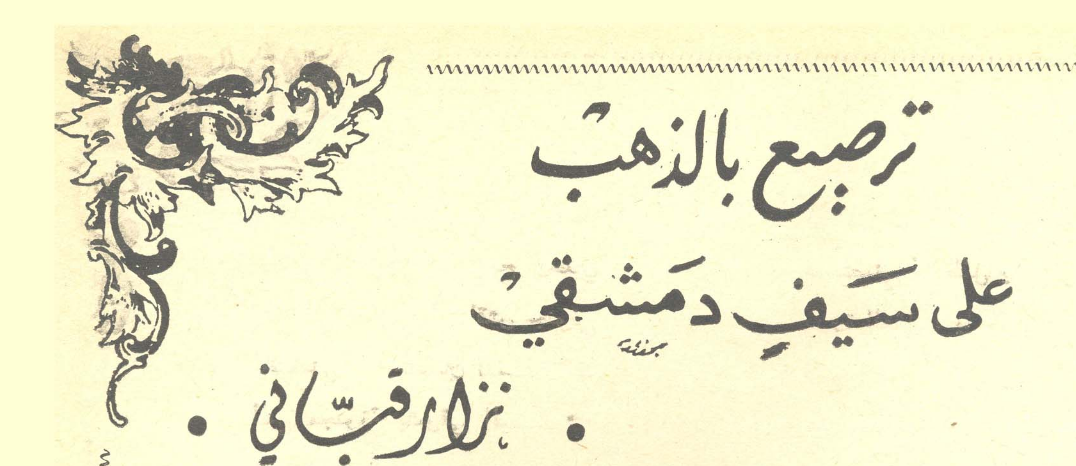
هؤلاء الصيد قومي فانتسب ... ان تجد اكرم من قومي رجالا



★ ★

أطرق القلب وغامت أعيني ... برؤاها ... وتجاهلت السؤالا





ترصيع بالذهب على سيف دمشقي

• نزار قباني •

أتراها تحبني ميسون • أم توهمت • والنساء ظنون

كم رسول • أرسلته لابيها • ذبحته تحت النقاب العيون

يا ابنة العم • والهوى أموي • كيف أخفي الهوى • وكيف أبين

كم قتلنا في عشقنا • وبعثنا • بعد موت •• وما علينا يمين

ما وقوفي على الديار • وقلبي • كجبيني • قد طرزته الغضون

لا ظباء الحمى رددن سلامي • والخلاخيل ما لهن رنين

هل مرايا دمشق تعرف وجهي • من جديد • أم غيرتني السنين ؟

يا زمانا في الصالحية سمحا • أين مني الغوى وأين الفتون ؟

يا سريري • ويا شراشف أمي • يا عصافير • يا شذا • يا غصون

يا زواريب حارتي • خبئيني • بين جفنيك فالزمان ضنين

واعذريني • اذا بدوت حزينا • ان وجه المحب وجه حزين

ها هي الشام •• بعد فرقة دهر • انهر سبعة •• وحور عين

النوافير في البيوت كلام • والعناقيد سكر مطحون

والسماء الزرقاء •• دفتر شعر • والحروف التي عليه • سنونو •

هل دمشق ـ كما يقولون ـ كانت • حين في الليل ، فكر الياسمين ؟

آه يا شام •• كيف أشرح ما بي • وأنا فيك دائما مسكون

سامحيني، ان لم أكاشفك بالعشق •• فأحلى ما في الهوى التضمين

نحن أسرى معا •• وفي قفص الحب • يعاني السجان والمسجون ••

يا دمشق •• التي تقمصت فيها • هل أنا السرو • أم أنا الشربين ؟

أم أنا الفل في أباريق أمي • أم أنا العشب ، والسحاب الهتون

أم أنا القطة الاثيرة في الدار • تلبي •• اذا دعاها الحنين ؟

يا دمشق التي تفشى شذاها • تحت جلدي •• كأنه الزيزفون •

سامحيني • اذا اضطربت فاني • لا مقفى حبي •• ولا موزون

وازرعيني تحت الضفائر مشطا
فأريك الغرام كيف يكون ..

قادم من مدائن الريح وحدي
فاحتضني كالطفل يا قاسيون ..

احتضني .. ولا تناقش جنوني
ذروة العقل ، يا حبيبي ، الجنون

اختضني .. خمسين ألفا وألفا
فمع الضم .. لا يجوز السكون

أهي مجنونة بشوقي اليها ..
هذه الشام .. أم أنا المجنون ؟

حامل حبها .. ثلاثين قرنا
فوق ظهري ، وما هناك معين ..

كلما جئتها أرد ديوني
للجميلات .. حاصرتني الديون

ان تخلت كل المقادير عني
فبعيني حبيبتي .. أستعين

يا الهي .. جعلت عشقي بحرا
أحرام على البحار السكون ؟

يا الهي .. هل الكتابة جرح
ليس يشفى . أم مارد ملعون

كم اعاني في الشعر موتا جميلا
وتعاني من الرياح السفين

جاء تشرين .. يا حبيبة عمري
أحسن الوقت للهوى تشرين ..

ولنا موعد على (جبل الشيخ)
كم الثلج دافيء .. وحنون

لم اعانقك من زمان طويل
لم أحدثك والحديث شجون

لم أغازلك .. والتغزل بعضي
للهوى دينه .. وللسيف دين

سنوات سبع .. من الحزن مرت
مات فيها الصفصاف والزيتون

سنوات فيها استقلت من الحب ..
وجفت على شفاهي اللحون

سنوات سبع بها اغتالنا اليأس ..
وعلم الكلام .. واليانسون ..

فانقسمنا قبائلا .. وشعوبا
واستبيح الحمى ، وضاع العرين

كيف أهواك .. حين حول سريري
يتمشى اليهود والطاعون ؟

كيف أهواك .. والحمى مستباح
هل من السهل أن يحب السجين ؟

لا تقولي : نسيت .. لم أنس شيئا
كيف تنسى أهدابهن الجفون

غير أن الهوى يصير ذليلا
كلما ذل للرجال جبين ..

شام .. يا شام .. يا أميرة حبي
كيف ينسى غرامه المجنون ؟

أوقدي النار .. فالحديث طويل
وطويل لمن تحب الحنين ..

شمس غرناطة أطلت علينا
بعد يأس ، وزغردت ميسلون

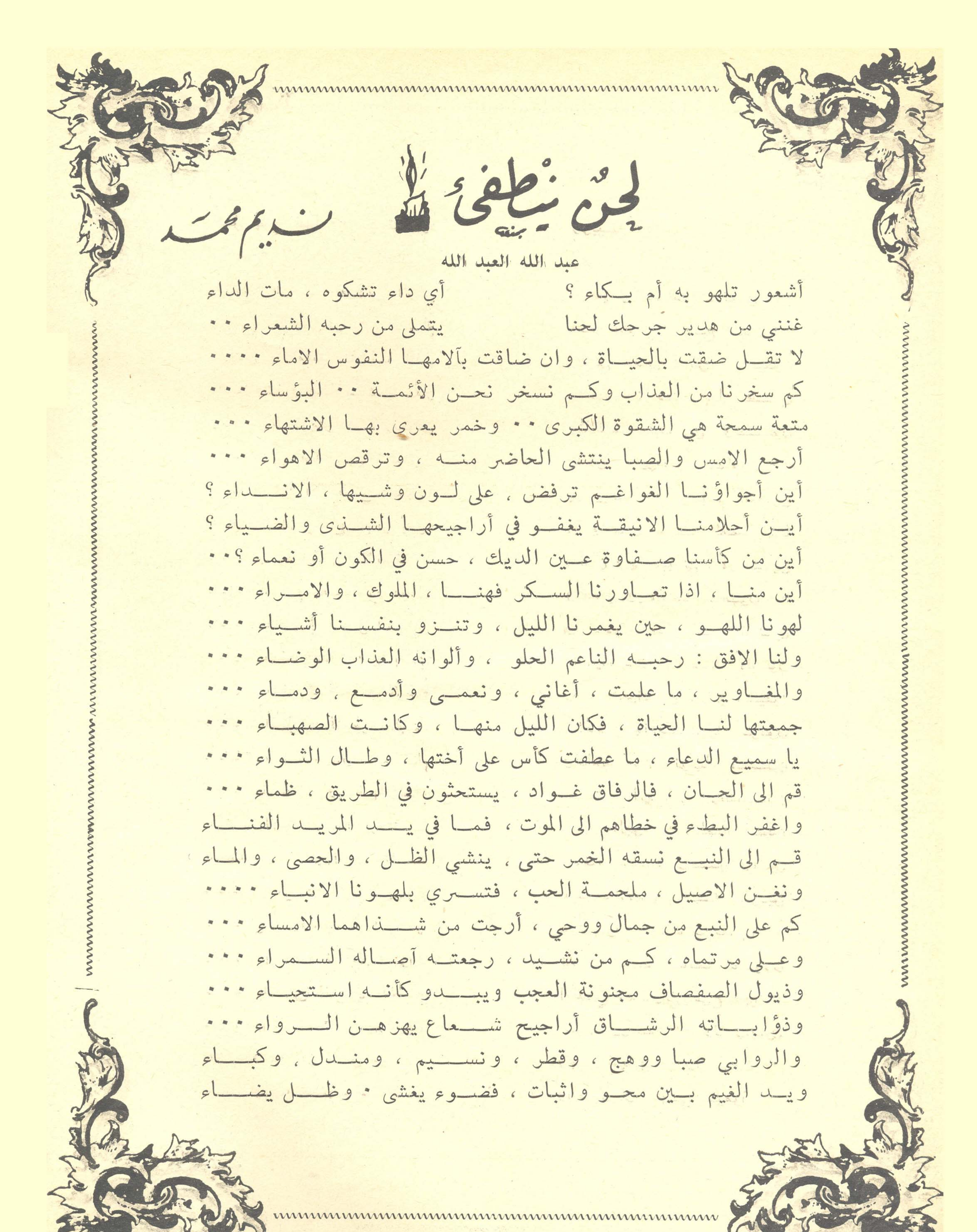
جاء تشرين .. ن وجهك أحلى
بكثير .. ما سره تشرين ؟

كيف صارت سنابل القمح أعلى
كيف صارت عيناك بيت السنونو ؟

أن أرض الجولان تشبه عينيك
فماء يجري .. ولوز وتين ..

كل جرح فيها ٠٠ حديقة ورد
يا دمشق البسي دموعي سوارا
وضعي طرحة اعروس لاجلي
رضي الله والرسول عن الشام
مزقي يا دمشق خارطة الذل
استردت أيامها بك بدر
بك عزت قريش بعد هوان
انعمرو بن العاص يزحفللشرق
كتب الله ٠٠ أن تكوني دمشقا
لا خيار أن يصبح البحر بحرا
ذاك عمر السيوف ٠٠ لا سيف الا
هزم الروم بعد سبع عجاف
وقتلنا العنقاء في (جبل الشيخ)
صدق السيف وعده ٠٠ يا بلادي
صدق السيف حاكما وحكيما
اسحبي الذيل يا قنيطرة المجد
سبقت ظلها خيول هشام
علمينا فقه العروبة يا شام
علينا الافعال قد ذبحتنا
علمينا قراءة البرق والرعد
علمينا التفكير ٠٠ لا نصر يرجى
ان أقصى ما يغضب الله ٠٠ فكر
وطني ، يا قصيدة النار والورد
ان نهر التاريخ ينبع في الشام
نحن أصل الاشياء٠٠لا فورد باق
نحن عكا٠٠ونحن كرمل حيفا٠٠
كل ليمونة ستنجب طفلا
أركبي الشمس، يا دمشق،حصانا

وربيع ٠٠ ولؤلؤ مكنون
وتمني ٠٠ فكل شيء يهون
ان مهر المناضلات ثمين ٠٠
فنصر آت ٠٠ وفتح مبين ٠٠
وقولي للدهر : كن ٠٠ فيكون
واستعادت شبابها حطين
وتلاقت قبائل وبطون
وللغرب يزحف المأمون ٠٠
بك يبدأ ٠٠ وينتهي التكوين
أو يختار صوته الحسون ؟
دائن ، يا حبيبتي ، أو مدين
وتعالى وجداننا المطعون ٠٠
وألقى أضراسه التنين
فالسياسات كلها أفيون
وحده السيف ، يا دمشق ، اليقين
وكحل جفنيك يا حرمون
وأفاقت من نومها السكين
فأنت البيان والتبيين
أحرف الجر ٠٠ والكلام العجين
فنصف اللغات وحل وطين
حينما الشعب كله سردين
دجنوه ٠٠ وكاتب عنين ٠٠
تغننت بما صنعت القرون
أيلغي التاريخ طرح هجين ؟
فوق ايوانه ٠٠ ولا رابين
وجبال الجليل ٠٠ واللطرون ٠٠
ومحال أن ينتهي الليمون ٠٠
ولك الله ٠٠ حافظ وأمين



لحن ينطفئ

بقلم نديم محمد

عبد الله العبد الله

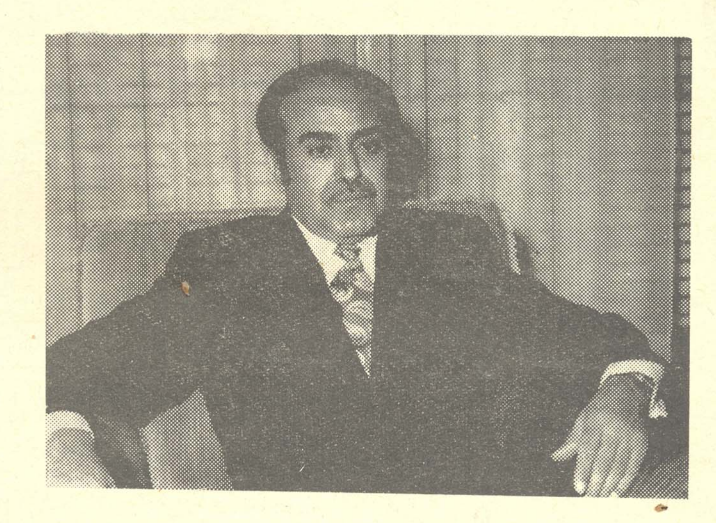
أشعور تلهو به أم بكاء ؟ أي داء تشكوه ، مات الداء
غنني من هدير جرحك لحنا يتملى من رحبه الشعراء ..
لا تقل ضقت بالحياة ، وان ضاقت بآلامها النفوس الاماء ....
كم سخرنا من العذاب وكم نسخر نحن الأئمة .. البؤساء ...
متعة سمحة هي الشقوة الكبرى .. وخمر يعري بها الاشتهاء ...
أرجع الامس والصبا ينتشى الحاضر منه ، وترقص الاهواء ...
أين أجواؤنا الغواغم ترفض ، على لون وشيها ، الانداء ؟
أين أحلامنا الانيقة يغفو في أراجيحها الشذى والضياء ؟
أين من كأسنا صفاوة عين الديك ، حسن في الكون أو نعماء ؟..
أين منا ، اذا تعاورنا السكر فهنا ، الملوك ، والامراء ...
لهونا اللهو ، حين يغمرنا الليل ، وتنزو بنفسنا أشياء ...
ولنا الافق : رحبه الناعم الحلو ، وألوانه العذاب الوضاء ...
والمغاوير ، ما علمت ، أغاني ، ونعمى وأدمع ، ودماء ...
جمعتها لنا الحياة ، فكان الليل منها ، وكانت الصهباء ...
يا سميع الدعاء ، ما عطفت كأس على أختها ، وطال الثواء ...
قم الى الحان ، فالرفاق غواد ، يستحثون في الطريق ، ظماء ...
واغفر البطء في خطاهم الى الموت ، فما في يد المريد الفناء
قم الى النبع نسقه الخمر حتى ، ينتشي الظل ، والحصى ، والماء
ونغن الاصيل ، ملحمة الحب ، فتسري بلهونا الانباء ....
كم على النبع من جمال ووحي ، أرجت من شذاهما الامساء ...
وعلى مرتماه ، كم من نشيد ، رجعته آصاله السمراء ...
وذيول الصفصاف مجنونة العجب ويبدو كأنه استحياء ...
وذؤاباته الرشاق أراجيح شعاع يهزهن الرواء ...
والروابي صبا ووهج ، وقطر ، ونسيم ، ومندل ، وكباء
ويد الغيم بين محو واثبات ، فضوء يغشى . وظل يضاء

سكت الحسن • وانطقا اللحن في الروض ، وأذوت وروده الرمضاء
والسواقي مما بهن سواه •• عاريات ضفافهن ، قـواء
وبكى الحب أي خطب دهـاه •• يا لخطب يعني لـه • ويسـاء
ليتها غفوة على الليل ، يجلوها ، شعاع مدلل • وغنـاء
ليتها ساعة يلمّ بها السكر ، وينـأى بجانبيها العياء •••
لمن الليل قانيا ، من دم الخمر •• توشيه غفوة خضراء
لهثت حولها الطيوب ، فضاع الحلم منها ، وضاءت السراء
واحتمت رعشة النجوم الى الستر ، حياء • وللنجوم حياء
حفظ الله للشباب ، أياديه ،على العيش ، انها بيضاء
يا سميري ونحن روحان في الخمر ••• سواء ، صباحنا ، والمساء
هيء الكأس واملأ الافق بالشعر ولبيك ، كلنا اصغاء •••
أنت منا •• ونحن منك على الظلم ، انتفاض وجنّة وازدراء
أجفلت من ابائنا ذروة الجاه،ومن زهدنا ، تلوى الثراء
لشموخ الكريم ، لا للغنى الحمد ، وللكبر لا الكبير • الثناء
فاذا الارض ما نشاء ، حياة ••• واذا الكون ، ما نريد ، هناء
في ضحى الارز عبقة من أغانينا ••• ومن زهونا عليه كساء
وليالي بغداد ، من خمرنا ريا ، وريا من حبنا ، •• الصحراء
كذب القبر ، لا يموت ندى الفجر، ولا يدرك الخلود ، •• الفناء
جرحك الجرح ، لا يد الخمر أملته ، ولا السهد خطه ، والعياء
نهشة ، مزقت بها الصدر أفعى ، فارح الناب • خشة رقطاء
ملقتها يداك لا رهبا منها ، ولكن عسى ينام العداء •••
فاسق من نابها شبابك وانظر ، كيف باءت بعارها أو باؤا
يعذب السم في النفوس ، ولا تعذب فيها الا طاعة ، العمياء
رب عار من بعض اسمائه الفخر ، ومجد عارت به الاسماء
والصبا وثبة الى الشمس تنقاد • وتعنو لعزمها • الامداء
لو أقول الجهاد • لانتفض القبر • ودوى من صدرك الانتخاء
ومشت في العروق عاصفة الزهو ، وشالت برأسها الكبرياء
وشكا السيف غمده وتلظت في العرانين • غضبة نكراء

قم الى السيف ان فيه من الذل شفاء ، متى يعز الشفاء
لو حملت الدنيا وكبرك في عطفي ، لمالت بمنكبي • الخيلاء
فامسح الغفو عن جفونك ، وانظر • غرر المجد ، لفهن لواء
غالبونا عليه ، اما لنا النصر ، واما له النفوس فداء ••••
بين جنبي هدة وانفجار •• في ضلوعي • وفي دمي أنواء
كيف أمشي ، وملء دربي جراح ••• كيف أرنو وملء عيني قذاء
سقط السيف من يميني وللموت ورائي ومن أمامي ، ارتماء
ما أبالي أن يأكل الحزن قلبي ، فعذابي على بقائي ، جزاء •••
ما أبالي ، بعد العمى ، أنهار فوق رأسي ، أم ظلمة سوداء ؟•••
أيه يا ليل كم سهرناك للصبح ، وللريح فوقنا ، ضوضاء •••
تلتوي ضاحكا الي فألقاك ، بضحك ترده ، الاصداء •••
آلف السخر بيننا فكأنا ••• في شفاه البرية استهزاء •••
ما يضر الشقاء والهامة العلياء •• قل لي ، والجبهة الشماء
همنا أن نموت في الخمر والسخر ولوموا يا أيها الاحياء
لا وعينيك ما هجرت • ولا خنت • ولا مر في ظنوني جفاء
وبلى طار للوداع فؤادي ، فطوى من جناحه الابطاء
فاغمس العتب في جراحي وقل هات رثاء يهززك مني الرثاء
قطع هن ما قدرت عليه ، من فؤاد عضت به الارزاء
آية الحزن أن يغيم به الفكر •• فمنه على الشعور غشاء
لهب شاهق وراء ضلوعي وصراخ ممزق ونداء
يا رفيقي حتى يضيق بنا الليل ، وتدمى بسيرنا الغبراء
لا تلمني على البقاء برغمي ••• فملوم من دون نفسي البقاء
لم يزل في يدي ذماء من الخمر •• فمهلا يجف منها الذماء
وغدا عندما يتعتعني السكر ويمحى من ناظري الضياء
وأرى باليدين ما يشبه الناس وما خلت أنها أشياء
وتروغ الحياة مني فما تمسك الا سرابها ، الاعضاء
فاذا ما بلغت ذروة آلامي وكان الذي تريد السماء •••
أرجعتني اليك نفس لها الله • وعهد له علي الوفاء



أنتِ .. وأنا



شعر عبدالله حسين

في خـاطري في القلب في خلدي
ما زال همسك بالـغ الاثر

ما غبت عن فكري فأنت بـه
تحيين في سمعي وفي بصري

ما كنت في حـل ولا سفر
الا وطيفـك يقتفـي أثـري

مـا نمت الا كنت مـاثلة
في خافقي ـ حقا ـ وفي نظري

* *

يا طيفهـا ان جئتنـي سحرا
والطيف قد يأتي عـلى سحر

والطيب يعبق من ملابسهـا
وأشعـة من كفهـا العطر

فاستبقهـا اني أحن الـى
تلك العيون وخدهـا النضر

وأكـاد من شوق أعانقهـا
لولا الحياء ومقتضى الحـذر





يا طيفها قل انني دنف — وأكاد لا أقوى على السهر
لو مر يوم دون رؤيتها — لحسبته ما مر من عمري
ما غاب عني حسن طلعتها — لما أتت تمشي على خفر
لما أتت في نور بسمتها — ويحيطها فيض من الصور

* *

يا طيفها اني على سفر — ولربما أفضي الى سفر
قلق كأني طائر تعب — متقارب اللفتات من ضجر
متنقل والهم يتبعه — من رأس رابية الى حجر
ويكاد من وجد ينوء به — يهوى لقا من حالق الشجر
متقطع الانفاس مضطرب — مما به أمسى على خطر

* *

يا طيفها ان غبت عن سكني — أو بنت عن أهلي وعن نفري
ما عن رضى فارقتها أسفا — لكنه ما خط في قدري

دمشق ـ عبد الله حسين

أنت.. أنا !

بقلم

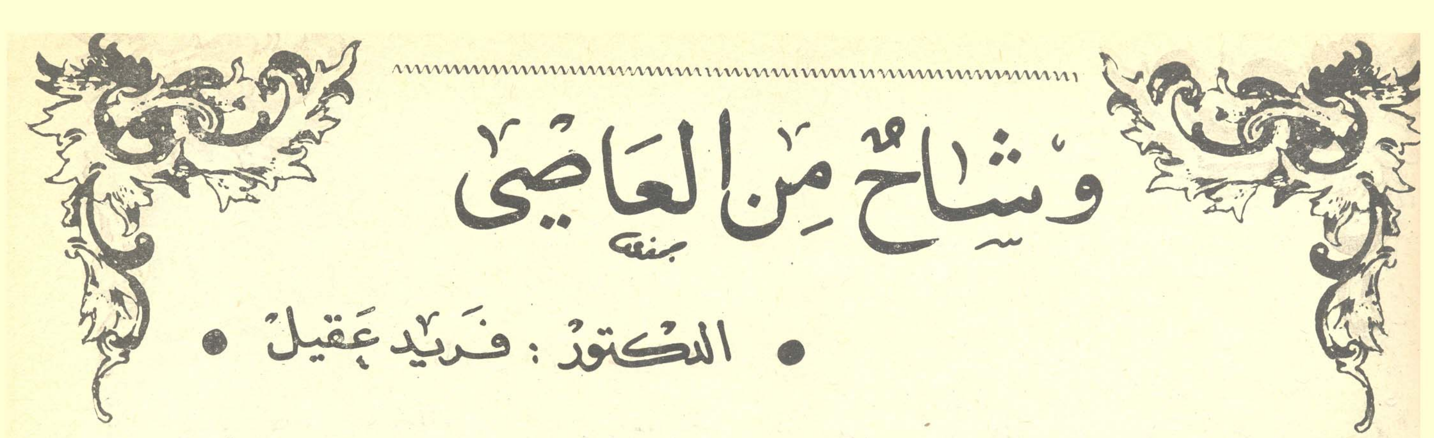
عزّ الدّين الخيّر

مهداة : الى الشاعر نديم محمد
في مضجعه الموجع

رف الى النجم ولا تجزع   وسابق الشمس الى المطلع
واسحب على الافق جناح الهوى   محلقا في المطلق الاوسع
أنت على الايام أهزوجة   تنشد في دنيا بلا مسمع
من نوح قيثارك لي نغمة   يزفها الليل الى مخدعي
أحياك لحنا لم يزل نبضه   يعيش تاريخي ويحيا معي
يرقص في النار سراب المنى   ويحمل الجمر الى المضجع
أنا غدير تائه لم أزل   ابحث في الآباد عن منبعي
أمد للكون الذي ضمني   طرف غريب فيه مستطلع
وكلما أوغلت في عالمي   تزداد دوني قسوة المرجع
يا سيد الحرف وعملاقه   سبقت بالحرف الي الحلم
فتحت بالنور طريقي على   اشراقة الجرح ووهج الالم
سلكت بي الصعب الى عالم   كل وجود لم يكنه عدم
من قبل أن فتحت عيني على   قافلة البوح وركب النغم
لحت أمامي ماردا سابحا   في افق تقصر عنه الهمم
قرأت أشعارك من قبل أن   يزغب في كفي رخص القلم
رأيت نفسي بين أبياتها   ولحت في اللفظة لحما ودم
دموع ماضي وآلامه   وذلة النشأة بين الرمم
والفشل الطافي على سيرتي   يغمر أيامي سهادا وهم
أنى تلمست طريقي بها   ألفيت في الصفحة وجهي ارتسم
قرأت أشعارك فاستسلمت   للنور روحي وزها مأملي
وغادر الشط شراع مضى   يضرب في بحر من المخمل
رأيت في ابداعها جنة   تغص بالشحرور والبلبل
وبالعذارى تركت أسرها   في الحرف وانهدت الى الجدول
انظر الى المخدع تعثر على   موقد دفء بالهوى مشعل
يا جرأة الانثى تعرت ومن   وقاحة المرآة لم تخجل
تدور تنحط تعيد الخطى   تكشف سر القلب في المفصل

تحترق المرأة في نهدها
كأنما ترقص فوق اللظى
مجمرة الحسن وأطيابه
جذور نار أضرمت نفسها
الصور البكر التي أشرقت
وليس ديوانا ولكنه ..
تفلتت من كل حرف به
بين حقول اللفظ عريانة
تهطل فوق الدرب أنشودة
في غابة الالحان أرجوحة
تهزها في الريح جنية
تحرك النبع صبايا على
تلهو به تنثر حصباءه
تستوقف الشمس على مرمر
آمنت بالثلج تعرى على
وربة الشرفة بنت الدجى
يخطئها اللمس كأن الذي
تسربت عبر طيوف الدجى
حورية قطف كروم الهوى
فاضت على النحر من حوله
يا شرفة الحسن ومحرابه
عفوا مليك الشعر ليس الذي
فليغفر البحر فاني فتى
أنا على الساحل اطلالة
في حيرة الطفل على شاطىء
مرتسما عمق سؤال مضى
يا شاعري ليس لنا في منى

وتصرخ النشوة في المعضل
فوق جماح اللهب المرسل
واللهب الراعش في المشعل
تبحث في المجهول عن مصطل
في غمرة الالحان ليست صور
جنة ابداع ومغنى سمر
دنيا من الحسن تروع النظر
تهيم في التل وفي المنحدر
على صداها يستفيق الحجر
من التغاريد يشد القمر
في لج عينيها يضيء القدر
شفاهها وهج الهجير اس تعر
دلا فيسري في المياه الخدر
جن به اللحن وجن الوتر
مواقد الشمس ولم ينصهر
يرن في الشرفة لحن الغرام
كونها . كونها من غمام
من عالم خلف حدود الظلام
والحسن سحر الكأس سر المدام
فوارة جداول من رخام
أيقظك الليل طروبا . ونام
أنشد الا بعض لمع السراب
لم يتعود بعد خوض العباب
من أبكم الشوق وخرس الرغاب
تعانق الضوء به الضباب
يبحث في كنه المدى عن جواب
جريحة غير البقايا العذاب



وشاح من العاصي

الدكتور : فريد عقيل

أجرني ، فقد هف الوشاح بطيبه ... وجاءتك تسعى بالوشاح طروب

بشيري حفيف الثوب ، ضوع بياضه ... محيا له غض السلام رطيب

صباح أقاح ، والخميل ضفائر ... من الليل سود ، والرفيف طيوب

غلالة خدر ، ان تلمست تستحي ... وأكمام طيب ان نظرت تطيب

وقد لاعبت خدي بثينة خصلة ... فادمي ورد ، واستبيح خضيب

وددت لو اني عندهن تعودني ... وتعطف سمراء الفتون عروب

اذن ، لقضيت الدهر سقما وعلة ... وأفنيت عمري ، أغتدي وأأوب

أمن عجب أني افتديت بنظرة ... صحيح عيون طبهن عجيب

وجئت يمنيني السقام ببسمة ... يجود بها عذب الرحيق خصيب ؟

فهمت بها شيئا ، وتقصد غيره ... ـ ونحن كلانا مخطىء ومصيب ـ

كلانا ـ على ما قد أظن ـ عن الهوى ... بعيد ، وعن أهل الزمان غريب !

على الرغم مني هزني الشوق، وأصطلت ... رؤاك بجفني ، واستحم وجيب

وحاولت ٠٠ لكن الهوى ريح عاصف ... اذا اشتد ، يهوى عاقل وأريب

أبحت لقلبي فاستباح ، وكلما ... به أخمدت نار ، يشب لهيب

ولما بدت ، راودت قلبي عن النهى ... وقلت لعيني : ما عليك حسيب

وخاتلت عينيها لتنظر ، فأتقت ... هوانا بصمت ـ والسكوت مريب

تحامت لقاء الطرف بالطرف، وانتحت ... به مأمنا كيلا يهم رقيب

كأن قد تولى الجهر بالسر كله ... وباح بمكنون الفؤاد خطيب

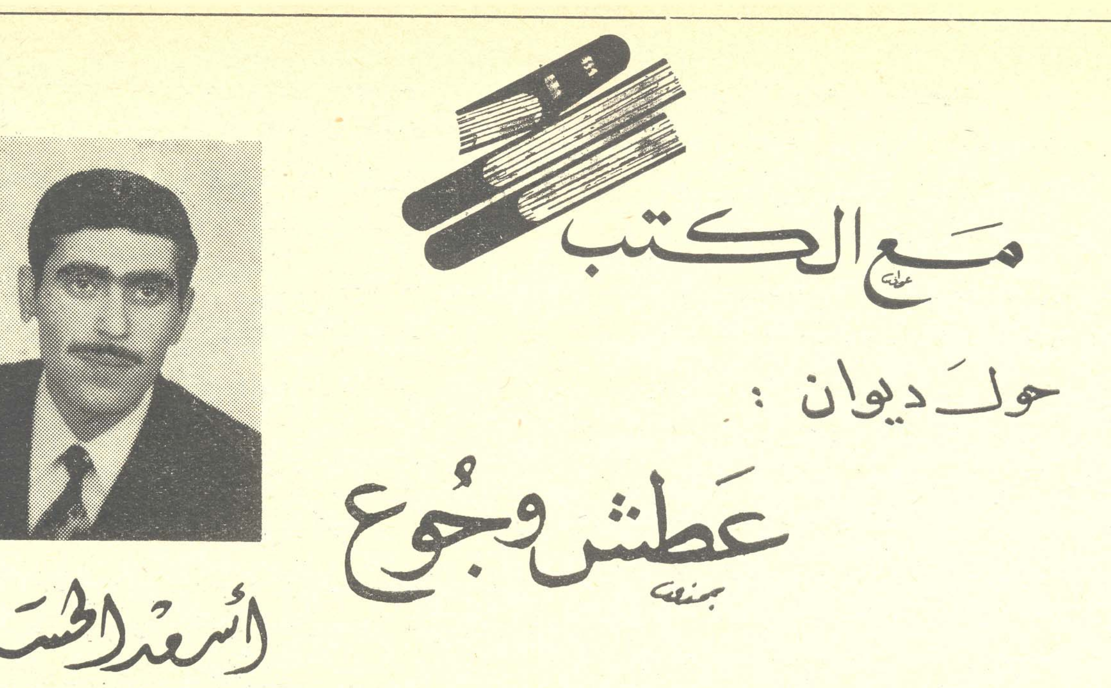
وخامرت الوجه المليح ملامة ... وران على سود العيون شحوب !

٠٠ ولكنما ـ والامر لله راجع ... يريد ، فتهوى ـ ان أراد ـ قلوب

لقد راود الطرف الحنان ، فنظرة … تحاور ، والاخرى التي تثوب
وما بينهما يستفتح السحر بابه … يسمي ، وباللحظ العيوف يصيب
٠٠ وتنفر كالظبي الغرير ، وتحتمي … بعاذلة في سربها ، وتغيب
كما الطيف مرت، أو كفجر من الرؤى … أسرت به من خدرهن جيوب
وحاولت أن ٠٠ لكنما ظمأ الهوى … خجول بطبعي ، والهيام أديب

*

أيا جارتا ، ما زال عطرك ها هنا … يفوح ، وما انفكت خطاك تجوب
٠٠وماقلت _ عفوا _ من كلام، حفظته … وظل بسمعي ٠٠ يغتدي ، ويؤوب
أمن قبلة العاصي تنزلت ؟!٠ مرحبا … وأهلا وسهلا ، فالتراب حبيب
مزار التقى والفتح ، يا بنت خالد … وأخت ضرار _ والمزار قريب _
حنانيك لو أصغى المقام لدعوتي … ورد ، وكان ابن الوليد يجيب
ألا فاسقنيها أربعا بعد أربع … وزدني ، فما بعد الضلال ذنوب
وسلني ٠٠ وما شئت القوافي فانني … امام على أهل الهوى ، وخطيب
حنيني بحور ليس يدرك عرضها … وحبي شمال ما تسعه جنوب
٠٠ وما أنا ممن تستبيح فؤاده … مخضبة ، أو تستبيه لعوب
وأكثر ، أني كبرياء ، وعزة … ألوم على أهل الهوى ، وأعيب
نعم ! في الخفايا للجراح مواجع … توالى ، وللامس القريب ندوب
ولكنني ، ان غبن غبت عن النهى … وان عدن ترتد النهى وتؤوب
وبي علة أني اليهن أنتمي … وفيهن بل في نونهن أغيب
شريد بكف الكاعبات حياته … ٠٠ وليس لهذا يا بثين طبيب !!
أيا جارتا ، اني اليك لراجع … ويا جارتا اني اليك أتوب



.. الكلمة درب الى كروم مثقلة بالعناقيد ، حروفها مطر يأتي بالخصب ، شمس تبعث الحيـاة فتية مشرقة ، ابتسامة تلد الحب ، تحضن الجـراح ، تفيض في العروق حنانا ، تجسد غربة الانسان ، تكون واحة ، ينابعها عصارة الشوق والحنين وعذابات النفس السامية ، تنحدر من العين دموعا ، فاذا هي ثورة ، تأبى ، ان تتعامل مـع الانسان الا ثائرا ، رؤية واعية رحبـة ، أخصبت ذات الشاعر ، فانطلق الى مجالات الحياة والكون مؤكدا هويته الفنيـة الاصيلة ، ووجدانه المبدع الخلاق ، وهو يتوقد بعبقرية، تجود بالعطاء الثاقب ، وسخاء الانسان ..

الكلمة الناضجة راصد بصير ، يمتلك قدرة عجيبة، تخلق في الوجدان أجواء ساحرة ، تهنأ بين الشاعر الكبـير زكي قنصل ، لتخرج الى العالم على أجنحة الروح السامية، تموج انتشاء ، معتقلة تروي ظمأ النفس ، وتزيدها جوعا وعطشا الى كلمة اخرى ، وقصيدة ثانية ..

يضعنا ، شاعرنا الانسان في ديوانه « عطش وجوع » امام شاعرية أصيلة ، ومعاناة حقيقية صادقة ، يعرف بها كيف يتعامل مع المشاعر ، يحياها في أدق خلجاتها وملامحها، يهبها روحه الكبيرة ، فتأتي التجربـة متكاملة الابعاد ، وتكون الرؤية واضحة شاملة ، تنساب في دفق وجداني ، مشبع بالحنين والعاطفة ، والارواح الكبـيرة ، لا تعرف سكينة ، ولا يهز صمودهـا تعب ، لا تكاد تستقر قليـلا بعـد ولادة جديدة ، حتى تنطلق الى مكان آخر ، تصـوغ عطاء مبدعا .!

هكذا ، تنوعت آفاق الشاعر ، وهـي جادة ، ترسم لوحة الانسان والحياة في غربته ، وقـد أضناه الشقاء ، واشتد عليه الالم ، وفي شعوره الانساني الفياض ، يأتـي البشر ، حاملا اليهم الحب والخير مبشرا بالخلاص .. حتى المناسبة العادية ، لا تدعها شاعرية زكي قنصـل بروحه الموهوبة ، تمر عفو الخاطر ، بل يأتيها ، فاذا هي ، تخرج على الملأ قصيدة ، نجوب فيها آفاق الحنين الى الديار، نتذوق مرارة الآه ، نعاني هموم الانسان وأحزانه ، نعيش معـه كفاحه البطولي ، نقف الى جانبه في خندق الدفـاع عـن الحرية ، نراه يتفتح ويولد في آفاق الحب ، يتجدد ، ويصقل بالحزن يصبح الثائر ، ويغدو الحرف فجرا ، يضيء امام الثائرين درب الخلود ..

ان فهم الشاعر ، يقتضي ان نصحبه الى أرضه ، كما يقول « جوته » وأرض زكي قنصل ، أحد الاعمدة الاساسية الشامخة في أدبنا المهجري ، واسعة لا توقفها حدود ، انهـا الوطن الغالي ، وترابه الطاهر ، بما قام عليه من حضارات وما شهده من أحـداث وتطـورات ، هي الاباء والشموخ القومي ، والعروبة الخالدة ، بأمجادها وطاقاتها الذاتية المعجزة ..

انها الانسان بعالمه الداخلي الرهيب ، وهي وجوده في الكون وكفاحه في سبيل نجاة الانسانية المعذبة ، وتحقيق سعادتها المطلقة .. ومعاناة شاعرنا ، حملت معه الوطـن بكل احداثه ، وما يتصل به من تراث واحـزان وتطلعات

الى دنيا غريبة ، كان عليه ان يؤكد فيها وجوده ، مهمـا بلغت طبيعة التضحيات ، ووسط ظروف قاهرة ، طلعت

حناجر المهجريين كالفجر الوضاء ، مظهرة عظمة هـذا الجبار العربي ، الذي حمل لعهد طويل منـارة الحضارة

وشعلة المدنية .. كاشفة عن انسانيته المطبوعة الكريمة وقيمتها النبيلة ، مباركة نضاله المقدس المستمر من اجل

الانسان وعالمه ، حيث تسود العدالة وينتصر الحق والخير والحب ...

الشاعر ليس معبرا عن ذاته كما رأى « بيتس » انـه « يتأمل من اجل الجنس البشري » وهو « يمثل نوعا مـن

الرائي او مخترع المعجزات ، عقل جماهيري ، رمـوزه مستمدة من الذاكـرة العظمى للانسان ، حيث تداعت

الحقائق البشرية وتكومت، ومهما يكن ظاهـر القصيدة عاطفيا او عارضا او شخصيا ، الا انها تنبع من الوجـود الانساني في أزله وأبده » .

من هنا ، كانت قصائد « عطش وجوع » على تعددها وتنوعها ، تلتقي أخيرا في مصب واحد ، ينقل الينا الحياة ،

ويصور ارادة الانسان، وهي تشق باصرار وايمان لا يتزعزع الدرب الى الامام .. ينقلنا الشاعر الى اجواء واقعـه

ووجوده ، فنحيا معه روحه الكبيرة في تعاملها مع طبيعـة حياته بكل ما تفرزه من المثيرات والمشاعر ، وتتعرف عـلى

المعاناة الصادقة وروعة الاحساس بالموقف ، ثم اعجـاز التعبير عنه ، وتظل أنفاس هذه الروح تسري خلال الديوان

دائبة جادة في سعيها مؤمنة بثورتها وحقها في انسانيتها ، هدفها الوجه المشرق للعالم ، مدينة كل المواقف التي تريد

حرمان الانسان من ممارسة انسانيته ، بكل ما اوتيت مـن حرارة المشاعر وأحاسيس الحياة ..

يظل مصدر الالهام حياة الانسان ، وتضفي الغربـة

على هذا الالهام صفة خاصة ، تجعلنا نتعاطف معه بصدق

نعيش تجربة الشاعر ، ونستغرق معه في عالمه الكبير .

يضنينا الشوق .. يعذبنا بالغربة ولوعتهـا ..

يروي عروقنا انتشاء بترقب اللقاء .. والفرح الغامر بعناق

الارض .. نزغرد معه للوطن الظافر ، يقف بنا ، عند

المارد العربي الثائر ، ينقض على الطغاة ، يعيد الحق الى

اهله ، ويرفع راية عالم أبي كريم ..

هذي أغاني التـي استوحيتها
من مقلتيك كتبتها بجروحي

لم أهد ديواني اليـك وانما
أهدي الى روحي عصارة روحي

اهداء الديوان ، يكشف حـلاوة الكروم التـي احتواها ، ويعد الانفس بعسل اطيابها الشهية ..

عينان هما النور والعطاء . فيا روعة الشعر يـأتي منهما مكتوبا بالجراح ، يا صفاء النبع ، وعذوبة الجزالة المشبعة بالجمال يا جلال الصدق في عصارة الروح ، وما امتع السكر في روض زكي .!

والغربة والمأساة ، تتفجر بالالم والحزن ، وينهمر الحنين الى الوطن مع كل نفس ، فما من طاقة تحد براكين الشوق ، ولا دمعة ترطب روح الشاعر الملتهبة .. ومـا أشد عذاب هذه الروح ، ترى أصحابها ، يطيرون الى عناق لها الا ان تجسد مأساة المعذبين ، الذين فرضت عليهـم المروج الخضراء ولقاء الديار ، فلا تجد مستقرا ، وليس صفقة خاسرة ، ظاهرها رحمة ، وباطنها عـذاب شديد ، فيا قدسية عطش الفؤاد وجوعه ، وما أصـدق اخلاصه ، وهو يترقب يوم الرجوع الى الديار ..

يا عائدين الى الربـــوع
قلبي تحـرق للرجـوع
نهنهته فازداد تحنـــا
نـا وعربـد في الضلوع
لا يستقر بـه الوسـا
د ولا يقـر لـه ولـوع
كانـت تسليه الدمـو
ع فصـار يهزأ بالدموع
لكأنـه ـ والريـح في
أعقابـه ـ طـير هلوع
ولت ليالـي الأنس وانـ
ـطفأت بهيكله الشموع
وذوت أمانيـه فمـا
في روضـة عطر يضـوع
شـيعت شمس رجائـه
ومضيت أبحث عـن يشوع

يـــا عائدين الى الحمـى
قلبي بـه عطش وجوع •

بالله هل في الركب متـ
ـســع للهوف ولـوع ؟

حزمت أمتعتـي فيـا
قلب أرتقب يوم الرجوع.

وعندما يخاطب شاعرنا الفذ ابنه ، تهزنا عاطفتـه الانسانية المتدفقة واحساسه المرهف ، حيث صاغ شاعرنا قصيدة ، لا نكاد ننتهي منها ، حتى نهرع الى أولها !..

لوحة عبرت في كمالها الفني ومشاعرها الزاخرة ، عن هذا الخلود المسؤول الـذي ينشده الآباء في الابناء ، وصورت سمو الابوة برعايتها الطيبة، وتضحياتها الجليلة، وكأن الشاعر ، وهو يضم ابنه الى صدره ، يشهد العالـم المأمول ، ويصافح الفجر المرتقب ، مباركا للانسان وجوده السعيد الآمن .!

ما أجل رسالة الابوة ! ما أعظم مسؤولية الابنـاء ، اذا عهد اليهم الاباء بالامانة ، وسلموهم الشعلة ، ليمضوا بها ، ويطاولوا قبة الجوزاء بأمجادهم !

ان نبل الانسان يتجلى في اروع معانيه ، عندما يكون الابناء ، أرق القصائد معنى ومبنى ، وأحلاها بيانا .!

على انقاض مجدي سوف تبني
فطاول قبـة الجوزاء يا ابني •

عقدت عليك آمـالي وإنـي
لاسقيهـا اذا ظمأت بعيني •

وفي جزالة من حرارة الصدق والحنان ، تتابــع أبيات الشاعر رشيقة مضيئة، وهي تنسج آية فنية رصينة، تحدد بهاء هذه الرابطـة الابويـة المقدسة ، ولا شك ان الشاعر كان يرى ابنه ، كـل هؤلاء الذين سيتابعون درب الانسانية الى عالمها الخير السعيد .

اذا طافت بخاطـرك الاماني
شعرت كأنها طافت بذهنـي •

وان بشت لـك الدنيا ترامت
بشاشتها الى أعمـاق حزنـي

سهرت لكي تنـام على حريـر
اذا أغفيت أنت ارتاح جفني •

وجعت لكي تشب ولا أبالـي
اذا استغويت منضعفي ووهني •

تمـوت أرومتـي شيئا فشيئا
لتمتص الحيـاة عروق غصني •

وتخبو نجمتي لتطـل شمسا
مشعشة على سـهل وحـزن

ويذوي مرتعي زهـرا ونهـرا
ليضحك وجه مرتعك الاغـن •

واهبط سلم الدنيـا لترقـى
والتزم السكوت لكي تغنـي •

بنـي لانت في الضراء سيفي
وأنت على عـواديها مجنـي •

★ ★ ★

بروحي أفتديـك ولا اغالي
وما أنا من يمن ومـن يمني •

لانت أحب مـن نفسي لنفسي
وأكرم موضعا في القلب مني•

أرق قصـائـدي معنى ومبنى
وأحلاهـا بيانـا أنت ابني •

وتأخذ قصيدته « العام الجديد » أبعادها في وجدانيـة عميقة تشع باصالة الموهبة ، سحرا رفيعا ورؤية شاملة !.

منذ البداية ، يضعنا في مواجهة الحقيقة ، امـام السؤال الحاسم ، أياتي مع الفجر الجديد سلام ؟! هل حمل معه خلاص المظلومين ؟! أتراه جاء يحرر العالم من الظلم والشر ، يجتث القهر ، يمحو أنين المعـذبين ، وصيحات الجائعين ؟!

عام جديد ، أطـل على عالـم مثقل بالانهيارات المرعبة ، يكاد ينطفيء في سقوط مريع ، غـير ان احساس الشاعر بموت العالم ، يوقـظ العملاق في ذات الانسان ، فيدفعه بحب لا متناه الى عناق الوجود والحياة ، متطلعا الى تحقيق آماله بارادته الجريئة الواعية ، والدموع مرفوضة، ان لم تكن رواء للارادة ، حتى يزهر الفرح ويعم أرجـاء

الكون ٠٠ ان الطريق لم ينته والاحلام الضاحكة ، لا تلبث حتى تنقلب واقعا بحرارة العزيمة الجادة ٠

مضى العام لم يترك لنا غير غصة
ويشرق بالماء الزلال مضـــام

صبرنا على البلوى فلم يجد صبرنا
ونمنا فأودى بالرجاء منـــام

بلادي بين الناب والظفر نهبـــة
وأهلي شـــراب للردى وطعـام

يقولون صلوا ، قلت لا تدفع الاذى
صلاة ولا يحمي الضعيف صيام

مضى العام تتلو نكبة فيه نكبة
ويهوى نظام كي يقـــوم نظام

وتجري دماء الابريـــاء سخية
ليحظى بألقاب الجهـــاد طغـام

اذا ثار منكوب أعادته حربـــة
وان صاح مجروح نهـــاه لجام

ومن عجب ترثى القلوب لقاتـل
وتهمي على قبر القتيـل سهام ٠

عالم مرفوض ، تأباه نفس الشاعر الابية ، وتوقظ في كل نفس مسؤولية الدفاع عن حق الانسان في حيـــاة كريمة ووجود سليم ٠

ان دولة العروبة القوية الموحدة ، ستحمل رسالتها الانسانية المشرقة بسمو قيمها الفاضلة ، فتكون دنيـــا الانسان ، بعطاء العروبـــة ، فردوس الخلاص والسلام ، وترف على المشردين نسائم الحرية تبارك لهم ظفرهم ، واستعادة حقهم ، وفي كل مناسبة يلح شاعرنـــا على اظهار الروح الانسانية العظيمة في العروبة ، ويـــرى كل نصر تحققه ، نصرا للبشرية جمعاء ٠٠

حنانك يا عاما يهل هلالــــه
حنانك فالآمال فيك جســـام

رعينا ذمام العالمين ولـــم نزل
فهل ضاع بين العالمين ذمـــام ؟

نريد لابناء العروبـــة دولـــة
يذود يراع دونهـــا وحسام ٠

تقوم على التقوى ويدعم ركنهـــا
اخـــاء يساوي بينهـــا ووئام ٠

نريـــد لاخـــوان تشرد شملهم
وناموا على شوك الهوان وقاموا

نريد لهم أن يستردوا ديارهـم
وتطوى الى دهر الدهور خيـــام

نريد لكل الناس ألا يصيبهــــم
بـــلاء وألا يستجد خصـــام

وان تمحي بين الشعوب فوارق
وان ينطفي بـــين القلوب ضرام

نريدك يا عام الرجـــاء محبـــة
وسلما ٠٠ والا لا عليك ســـلام

★ ★ ★

الثورة الفكرية عند شاعرنا ، ليست رفضا تشنجيـــا فجا ، بل هي البناء والعطاء ، ثم العطاء ، الذي لا يتوقف ولا ينتهي ، وما هذا الالحاح المستمر على الجانب القومي وابراز صفاته ، الا تأكيدا لهوية هذه القومية الانسانية التي تريد للانسان الحرية والمساواة على ارض رافهـــة بالحب والسلام ٠٠

على ذكرى فلسطين ، قضية العروبة المصيريـــة ، والمأساة التي لم يشهد لها تاريخ البشرية مثيلا ، ينطلق صوت الشاعر المؤمن بحق امته في الحياة ، ينطلق من غربته حارا قويا بالصدق والاخلاص ، يلغي المسافات الشاسعة ، ويعيش اعماق الجرح ، مناضلا الى جانب اخوانه المقاتلين في سبيل الحرية والكرامة واستعادة الحق المغتصب ، ومن أجل البشرية الثائرة بوجه البغي والطغيان ٠٠

يثور زكي قنصل ، فتجد فيه المقـــاتل العربي في مربضه ، يناضل عبر التاريخ الطويل ، دفاعا عن الارض والكرامة وحرية الانسان ٠٠ ان الواقع الذي مكن لعدوان الصهيونية والاستعمار مر أليم ، يلاحق شاعرنا بالعذاب ، لكنه لا يدع لليأس سبيلا يتسرب منه الى صلابة نفســه وارادته ، وصدق ايمانه بامته ، فلا بد أن تعود العروبة ظافرة تحتل مكانتها العالية ، وتتربع فوق قمة الحضارة ، ان هي أخذت نفسها ، بما يصلحها ويعيدها سيرتهـــا

الاولى ، ومن هنا انبعث صوت الشاعر هادرا قويا ، يريد الوحدة ، والاعداد للمعركة المصيرية ، اذ ليس لنا سوى أمتنا ، ولا صان الحقوق الا أصحابها بقوتهم وشدة بأسهم .

بني أمي أتيتكم وقلبي
صريع بين أنياب الهوان

فهل أشكو اليكم ما أقاسي
وهل ألقى لديكم ما أعاني ؟

أرى صهيون يسرح في حمانا
قرير العين مرخي العنان !

يعيث بما تقدس من تراث
ويهدم ما بنينا من مغان

ونحن نطوف من باب لباب
ونرجو بلسما من أفعوان

★ ★ ★

حلفت بتربة الوطن المفدى
حلفت بحرمة الشرق المهان

اذا لم نأتلف رأيا وصفا
ونذك النار في أعصاب وان

ونجمع ما تفرق من فلول
ونسمك ما تصدع من مبان

ونحشد للغد المرجو جيشا
- يخوض الموت - من انس وجان

فلا نرج العدالة من فلان
ولا نشك العداوة من فلان

ينال الحق بالبيض المواضي
وتقصر دونه بيض الاماني

★ ★ ★

تحفز للوثوب شبول فتح
فماست بالرجاء الضفتان .

(أرى خلل الدخان وميض نار)
فأهلا ثم أهلا بالدخان .

معاذ المجد أن تعنو لغاز
وفيها للعروبة معبدان .

★ ★ ★

أما الحب فما أحلاه عند شاعرنا ! اذ يطير بنا الى روابي خياله ورياض الطبيعة الخلابة بمفاتن روائعها الساحرة ، ويأخذ النفس الشعري المطبوع مجاله باشراق بهي ، فنغفو في رياض حساسية الشاعر الملهمة ، في عالم القلب المتيم بكم جميل ..

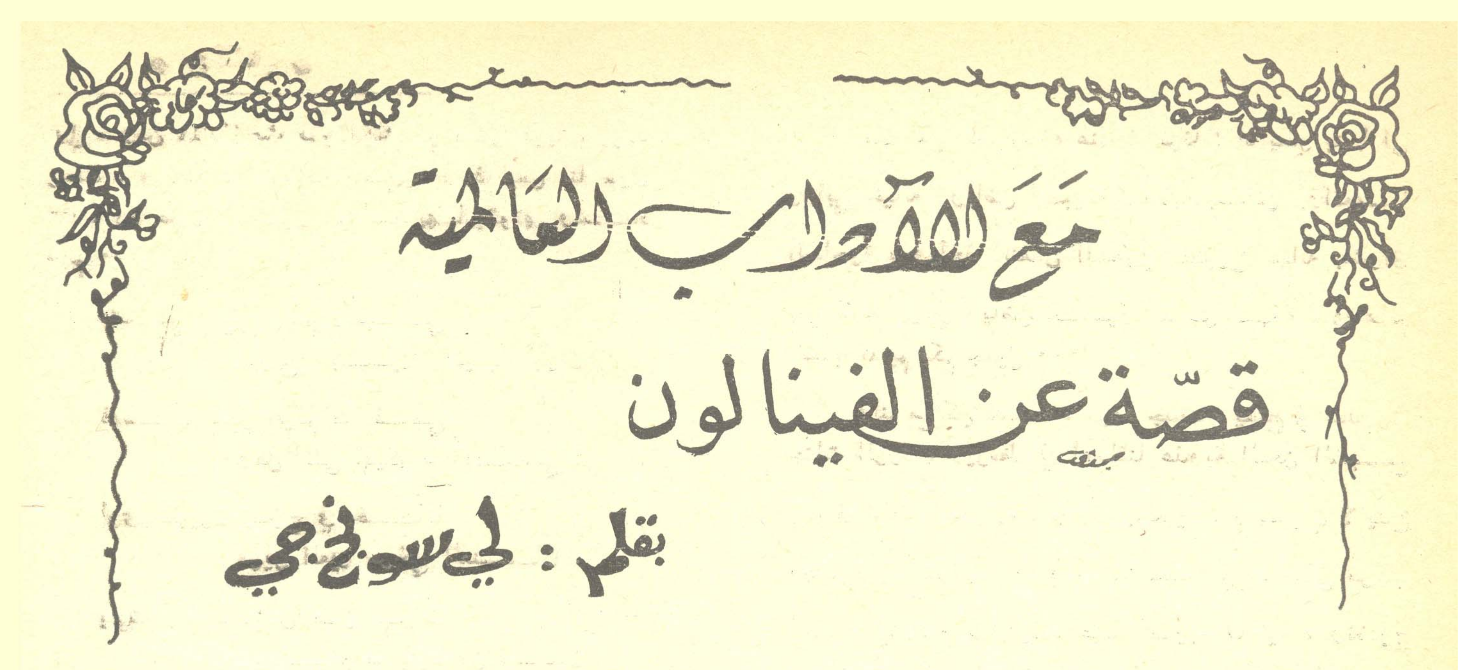
ولنا مع كل قصيدة ، موعد جديد ، يفتح في صدورنا جنات الورد ، ويوقظ في أعماقنا عذوبة اللحن المشبع بصدق نابض الحرارة ، جارف بالحنين ، والديوان لا يدع مجالا نتوق للوقوف عنده ، الا حملنا اليه ، على مركب أخاذ ، في أداء لا يتوقف عند خصوبة معانيه ، ونضوج قدرته على الايحاء والتأثير ، وانما يتسع الى آفاق جمالية فنية ترقى به الى المراتب العالية الشامخة .

زكي قنصل ، هذا الشاعر الملهم ، يحتاج المرء الى صفحات لا تقيد بعدد حتى يؤتي عالمه الشعري بعض حقه .. ان صناعة الحرف المتقنة ، والكلمة الشعرية المليئة ، والبساطة - سر الجمال - والبراعة الفنية ، وتلك الرؤيا بابعادها الواسعة الرحبة ، لا يمكن لوقفة قصيدة عندها ان تحيط بجلالها ونبوغها المبدع ..

وكما قالت الاديبة الآنسة نهاد شبوع : « تهاويم اجنحته طليقة الاشواط والمحطات ، كالحرية والهواء حميا تنغرس في أعماق القارىء وتسري مع دماء حياته تطهرها، تشعلها ، ترطبها ، بلا كلفة وبالمجان ... من كل مواقف الحياة ، ترضع ريشته فلا تغص ، ومما ترضع ، وعبورا من مساكب قلبه ، تسقي بذورها غير ناسية حتى الشقوق الصغيرة في صخورها » .

« والشعر ، شعر أولا وقبل أن يحمل الزي القديم او الزي الحديث ، والاساسي أن يكون للشعر حضوره ، قبل أن تستقي من روح التراث او روح المعاصرة طرائقه، ولشعر زكي حضوره في همومنا وافراحنا .. ولوعتنا ودموعنا .. بطولاتنا ومعاركنا .. في قهرنا ونصرنا .. بصدقه الجاد جدا . .والخلاصة الحميم جدا .. وعواطفه البيضاء جدا .. وبنداوة كلمته الشفافة جدا » ..

حمص - أسعد الحسين



كان سهل ريو نجهونج حتى وقت قصير تغطيه الاعشاب ، أما اليوم ففيه أكبر مصنع فينالون من الدرجة الاولى في العالم يقف شاهدا على عظمة عصر حزب العمال ٠

وقد بني المصنع على مساحة قدرها خمسمائة الف متر مربع وهو مجهز بأكثر من خمسة عشر الف آلة مختلفة وجهازيين كبير وصغير تم انتاجها في بلادنا من البداية الى النهاية بناء على رسوماتنا الخاصة وتصميماتنا الخاصة ٠

والمصنع الهائل الذي يرمز بفخار للروح النبيلة لشعب هذه البلاد الشجاع الواسع الحيلة ينتج الان كميات هائلة من الفينالون ٠

وكلما تطلعت ببصري الى المصنع خطرت ببالي فكرة ان الرفيق كيل ايل سونغ سونج رئيس مجلس الوزراء هو الذي أتاح للشعب الكوري اظهار حكمته أمام العالم أجمع في فتح طرق عريضة للبحث العلمي أمامنا نحن العلماء وقادنا الى ذروة العلم العالية التي نقف عليها اليوم ٠

وأريد هنا ان اقتصر على ذكر بعض القصص عن الفينالون وارى أنه يجب أن أبدأ بالقصة التي تعود الى عام ١٩٥٢ ٠

ولا تزال ذكرى ما حدث في الاجتماع القومي للعلماء الذي عقد في بيونجيانج يوم ٢٧ ابريل ١٩٥٢ حاضرة في ذهني ٠

في ذلك الوقت كان القتلة الامبرياليون الامريكيون يلقون قنابلهم علينا بصورة وحشية دنيئة تفوق ما حدث في أي وقت آخر مضى ٠ وهكذا تناولت طعام افطاري في مطلع الفجر وانتهزت فرصة هدوء وتوقف العدو عن القاء قنابله وأسرعت الى مسرح مورانبونج تحت الارض الذي أعد كمقر للاجتماع ٠

وكنت غاية في السعادة لحضور مثل هذا الاجتماع الكبير الذي عقد في العاصمة لاول مرة بعد حضوري الى النصف الشمالي من الجمهورية بحيث لم أستطع أن أسيطر على انفعالاتي حتى بعد أن جلست في قاعة الاجتماع ٠

وفضلا عن ذلك كان لي شرف الجلوس قريبا من الرفيق رئيس مجلس الوزراء على المنصة ٠

كان الرفيق رئيس مجلس الوزراء متين القامة تتألق ملامحه بابتسامة طول الوقت وفي عينيه المعبرتين بريق الذكاء ٠٠

ولا تزال صورة الرفيق رئيس مجلس الوزراء راسخة في ذاكرتي منذ قابلته لاول مرة رغم مرور العديد من الاعوام على ذلك ٠

وكان الرفيق رئيس مجلس الوزراء القائد الاعلى لجيش الشعب يقود الجيش كله بنفسه في حرب تحرير الوطن ومع ذلك فقد وجد لديه متسعا من الوقت لحضور الاجتماعات من أول يوم حتى آخر يوم وأنصت بانتباه الى كلمات عدة رفاق ٠٠ ثم القى خطابا تاريخيا اضاء الطريق أمام العلماء الكوريين ٠

وبدأ الرفيق كيم ايل سونغ رئيس مجلس الوزراء خطابه بالاشارة الى الغرض من الاجتماع فقال انه دعى الى هذا الاجتماع لتعبئة قوى المثقفين في بلادنا في الجهود

الحربية نحو النصر • وفي أعمال اعادة البناء بعد الحرب ثم تكلم عن المهام التي تواجه المثقفين في الفروع العديدة في أخطر المراحل التاريخية للبلاد • المثقفون الذين هم قوة كبرى وكنز ثمين لبلادنا •

وقال :

« وبرغم ان صناعاتنا تملك امكانيات وفيرة لتنمية الصناعات التركيبية العضوية الغالية التركيب الا ان هذه الامكانيات غير مستخدمة كل الاستخدام » •

وبعد التحرير نجح الفنيون عندنا في انتاج الكحول والاحماض الازوتية وغير ذلك من فحم الاضاءة الذي يمكن الحصول عليه باستخدام الكهرباء وفحم الانتراسيت والحجر الجيري الرائع كمواد خام له، وهي كلها موجودة بوفرة في بلادنا وهذه حقيقة نفخر بها دائما •

وهذا نجاح كبير غير اننا ينبغي الا نقنع به • بل يجب أن نبدأ بعملية انتاج مجموعة من السلع الصناعية العضوية التركيب ذات الدرجة العالية •

« وعلى مثقفينا العاملين في ميادين العلم والصناعة الانتاجية وعلى مبتكرينا ومخترعينا في ميدان الانتاج أن يتغلبوا على مصاعب فترة الحرب وأن يكرسوا كل طاقاتهم ومعرفتهم وخبرتهم للعمل لتحقيق نهوض وتنمية الاقتصاد القومي بعد الحرب » •

وسرت كل كلمة من خطابه في أوصالي وأوحت الى بالثقة في النصر في الحرب وأحسست نحو عملي بشعور غامر بالشرف • وبعد أن سمعت خطابه كله أحسست كما لو كنت قد رأيت ذرى العلم وكأنها منارة سنمضي نحوها قبل وقت طويل •

وكذلك فانني اعجبت ثانيا بعد خطاب الرفيق رئيس مجلس الوزراء بتفاؤله الثوري وبصيرته العلمية ازاء الايام المقبلة •

وفي تلك الايام كانت البلاد كلها غارقة في بحور من نار واصبح كل شيء رمادا وكان العدو يستعرض قوته ويهذي قائلا « ان سياسة كوريا الشمالية شارفت النهاية » ولكن الرفيق رئيس مجلس الوزراء كان يثق ثقة حازمة بالنصر اكثر منه قبلا وكان يتطلع الى مستقبل باهر للوطن •

وعندما يعالج الرفيق كيم ايل سونغ رئيس مجلس الوزراء أي عمل فانه يرى ببصيرة علمية اتجاه تطوره ونتيجته ، وقبل ان انتهي من هذا العمل يفكر في الامور المقبلة التي يجب القيام بها وبنظمها •

وقد وضع الرفيق رئيس مجلس الوزراء في الواقع خطة اعادة البناء بعد الحرب وبدأ يستعد لتنفيذ هذه الخطة واثقا من النصر ثقة أكيدة وسط لهيب الحرب القاسية ضد الغزاة المسلحين الذين ينتمون الى ستة عشر دولة وعلى رأسهم الامبرياليون الامريكيون الذين القوا بأنفسهم علينا في ضراوة وهم يفخرون بأنهم أقوى دولة في العالم » •

وأرشدنا الرفيق رئيس مجلس الوزراء نحو تنمية العلم في بلادنا وهو لا يقصر تفكيره على اليوم والغد فحسب بل يتطلع دوما الى المستقبل البعيد •

ولقد تنبأ الرفيق رئيس مجلس الوزراء بحكمة في ذلك الوقت بمستقبل الصناعة الكيمائية في بلادنا ورسم خطا واضحا لتنمية صناعة كيمائية مستقلة بدون الاعتماد على الآخرين •

ولو لجأنا الى الاعتماد على الآخرين في التغلب على صعوبة أو أخرى في تلك الايام لكان من المستحيل علينا تماما بناء مثل هذا المصنع الرائع للفينالون وهو من الدرجة الاولى في العالم مع ملاحظة أن المواد الخام التي يستخدمها والآلات والمعدات كلها أنتجت محليا كما نرى الآن •

وهكذا فان الخطة التي وضعها الرفيق كيم ايل سونغ رئيس مجلس الوزراء في ذلك الوقت كانت في الحقيقة صائبة بصورة مطلقة • وهي خطة تنمية صناعة كيمائية مستقلة •

وسمعت أن الرفيق رئيس مجلس الوزراء يريد أن يراني أثناء فترة استراحة اجتماع العلماء فدخلت غرفة الاستراحة واستقبلني برقة وسألني تفصيلا عن صحتي وكيف أعمل واعيش •

ثم قال : « هناك أشياء كثيرة أمام علمائنا لينجزوها وأريد منك أن تعمل بأقصى مافي طاقتك » •

وأجبته قائلا « بالتأكيد » وعقدت العزم دائما على

أن أبذل قصاري جهدي وأنا احتفظ في أعماق ذاكرتي بكلماته .

وكان عندي ما أردت أقوله له وقتئذ ولكن فاتني ان افعل ذلك .

وحدث أثناء وقت التقهقر المؤقت وهي أشد الفترات العصيبة التي مر بها الحزب كله والشعب كله .

كان ذلك في ١٥ أكتوبر ١٩٥٠ وكان قد انقضى شهران على قدومي من سيول الى الشمال وكان معي أعضاء جماعة البحث عندما قررنا التقهقر بطريقة منتظمة .

وظهرت الصعوبات واحدة بعد أخرى في طريقنا .

وكان سيرنا بطيئا اذ كان علي أن أصطحب زوجتي وهي في الشهر الثامن من حملها وطفلي البالغ من العمر ثلاثة أعوام واربعة أطفال صغار .

وفوق كل هذه الصعاب كانت طائرات الاعداء تظهر عدة مرات تنقض علينا كالذئاب الجائعة .

وكنا قد بدأنا أولى خطواتنا في المرحلة الطويلة وسرعان ما بدأ الاطفال يشعرون بالانهاك .

على الرغم من كل ذلك فاننا مضينا شمالا على كل حال بخطى سريعة وقد عقدنا العزم على السير وراء الحزب والمارشال كيم ايل سونغ وان يساعد كل منا الآخر واثقين من النصر وبدون أدنى تردد بالرغم من الصعاب . وفضلا عن ذلك استمدينا طاقة جديدة من الرعاية العميقة التي أولانا اياها الحزب والزعيم . تلك الطاقة التي ساعدت الشعب في التقهقر بصورة منتظمة وأمدته أيضا بامدادات الاغاثة حتى في تلك الايام الصعبة وهكذا وصلنا الى « يونيبونج » بمنطقة « شينفا » باقليم ريانجانج .

وبعد أن مكثنا فيها ليلة واحدة وكنا على وشك الرحيل جاءتني كلمة من المنظم تقضي بأن أبقى ليلة أخرى وان اقضي راحة طيبة .

وهكذا تخلفنا نحن السبعة أعضاء الاسرة .

وفي الصباح التالي عاد احد الذين يعملون تحت ادارتي في الابحاث وكان قد غادرنا في اليوم السابق عاد مع فلاح يقود عربة يجرها ثور وقال الزميل :

ان الرفيق كيم ايل سونغرئيس مجلس الوزراء الذي أعرب عن قلقه أزاء تقهقر جماعة الابحاث سمع أني كنت أصحب أطفالي الصغار معي على طريق التقهقر فكلف منظم الحزب في منطقة « شينفا » بارسال عربة يجرها ثور لعائلتي وانه من الافضل حمل الاطفال على العربة في الطرق الجبلية بدلا من حملهم بالسيارة على طول الطريق. وهكذا جاء زميلي بالعربة التي يجرها الثور والتي أرسلها منظم الحزب في المنطقة .

فيالها من عناية عظيمة ورعاية كريمة .

وقد كان ذلك في وقت كان كل الحزب وكل الشعب فيه يجتازون أشد المحن وكان الرفيق رئيس مجلس الوزراء مشغولا بدرجة كبيرة بتنظيم التقهقر المجهد والاعداد لعمليات الهجوم المضاد . وفي هذا الموقف كان مهتما اهتماما عميقا بالسلامة الشخصية لواحد من العلماء، وعندما فكرت في عنايته العميقة أحسست غصة في حلقي ودموع العرفان بالجميل تنهمر من عيني على خدي .

فهل استمتعت من قبل بمثل هذا العطف العميق العظيم من أحد أو في أي مكان كلا أبدا ! .

وفي ظل هذا الاهتمام العميق منجانب الرفيق رئيس مجلس الوزراء ، مضينا نحن أعضاء العائلة السبعة دون أن نتعرض لسوء قط طول رحلة التقهقر .

وظللت منذ ذلك الوقت اترقب في لهفة أن تسنح الفرصة للاعراب له عن عرفاني بالجميل لاهتمامهوانشغاله بأمري بلا حدود .

ولكن عندما اتخذت مجلسي بالقرب من الرفيق رئيس مجلس الوزراء بلغ به التأثر الشديد جدا أعجزني عن أن أقول له ما كنت أريد أن أقوله .

وبعد أن عدت من اجتماع العلماء اقتحمت معركة تنفيذ تعاليمه بأمل متجدد وثقة في النصر .

وبدأ اللهب الذي أشعله الرفيق رئيس مجلس الوزراء في قلب كل العلماء وقتئذ يتوهج بعنف كنار في البراري .

وظللنا نحن أعضاء فريق البحث العلمي ذاكرين أن اجراء الابحاث على الفينالون عمل كريم لأنه يحققالمشروع الكبير الذي خططه الرفيق رئيس مجلس الوزراء . وهكذا

فاننا اجتزنا جميع الصعاب في العمل ونحن ندرك كل الادراك المسؤولية الملقاة على عاتقنا والتي تعتبر شرفا لم ننله من قبل ٠

وكانت معدات معملنا أقل كثيرا عن درجة الكفاية حتى لم تكن عندنا أنابيب اختبار تذكر كما أن أجهزة الكشف لم تكن كافية ٠

وكنا نتعرض للغارات الجوية عدة مرات يوميا ٠

وبالرغم من ذلك لم نوقف عملنا في البحث لحظة واحدة ٠

وحدث ذات يوم « أذكر أنه كان في أوائل شهر يونيو ١٩٥٢ » توقفت سيارة نقل فجأة أمام معملنا في منتصف الليل ، ودخل على غرفتي سائق هذه السيارة في ثوبه الداكن الزرقة وأعطاني ورقة مطوية ٠

وكانت رسالة من أحد الكادرات جاء فيها :

أرسل لك مع حامله أجهزة اختبار كشف فيسيارة نقل ٠ وقد حصل عليها رجل أوفده الرفيق رئيس مجلس الوزراء نفسه خارج البلاد لهذا الغرض ٠ ولهذا فأنا متاكد من أنك ستسر أبلغ السرور بقبول هذه الاجهزة واستخدامها ٠

وبعد أن قرأت الرسالة بلغ بي الابتهاج الشديد جدا فاندفعت الى خارج الغرفة وبدأت تفريغ الشحنة من السيارة ٠

وصاح جميع اعضاء جماعة البحث الذين يعملون معي صيحة ابتهاج واندفعوا متزاحمين لمشاركتي في تفريغ الشحن ٠

وبعد أن حملنا كل الاشياء التي تم انزالها من السيارة الى الداخل في غرفة البحث أخذنا نفض أغلفة الاجهزة بعناية وبينما كنت أفك الاغلفة استغرقني التفكير العميق واسترجعت ذاكرتي ما حدث من قبل حين كنت في كوريا الجنوبية وكانت الصورة ماثلة في ذاكرتي ٠

كانت صورة الحظ التعس للعلماء الذين كان يلقى بهم كحذاء بال في كوريا الجنوبية حيث كانت حكمة ومال الشعب الكوري الواسعة الحيلة تداس بلا رحمة تحت حوافر الذئاب الامبريالية الامريكية ٠ وحدث ذات يوم من أيام الصيف أن اضطررت لوقف أبحاثي لاني لم أفلح في الحصول على قطعة ثلج للتجربة وتطلعت الى النصف الشمالي من كوريا ولعنت العدو وهو الامبريالية ٠ خطر كل هذا ببالي كما لو كان قد حدث بالامس القريب وخطر ببالي ٠

ألم أحصل أنا الذي عشت حياة كتلك التي ذكرتها من قبل على هذه الاجهزة الاختبارية الثمينة وأجهزة الكشف من الرفيق كيم ايل سونغ رئيس مجلس الوزراء لكم هو رائع هذا الوطن وما أسعدني برئيس مجلس الوزراء كهذا !

وأجهزة الاختبار وأجهزة الكشف من الابحاث العلمية ثمينة كالبذور في الزراعة ولكن هناك ما هو أثمن منها ألا وهو المعنى العميق لافكار الرفيق رئيس مجلس الوزراء الذي تمثله هذه الاجهزة ٠

والتهب فينا نحن أعضاء جماعة البحث حماس غير عادي للرد على جميل الرفيق رئيس الوزراء واهتمامه العميق وعنايته الفائقة ومضى عملنا في البحث متدفقا مندفعا كماء انطلق من نهر كان فيه محبوسا ٠

واذ تقدمت أعمال البحث زادت قوة روحنا يوما بعد يوم بصورة أصبحت قوة عظيمة للتغلب على جميع الصعاب ٠

وعندما كان النعاس الشديد يغالبني أو تصاب أعضائي بخدر من أثر التعب كنت أقول لنفسي :

ان الشعب كله الآن يخوض حرب حياة أو موت ولسنا مجرد علماء يقومون بالابحاث في معمل فحسب بل نحن جنود الحزب والزعيم نندفع قدما للاستيلاء على قلعة العلم ٠ وبهذه الاسلحة التي أعطانا اياها الرفيق رئيس مجلس الوزراء يجب أن نحطم العلم المدمر الذي يلجأ اليه عدو البشرية وأن نبلغ قمة العلم من أجل سعادة الشعب » ٠٠

وكانت هذه الفكرة تعمر أذهاننا فتغلبنا على جميع الصعاب وتقدمنا خطوة خطوة نحو قمة العلم التي أوضحها لنا الرفيق رئيس مجلس الوزراء ٠

وبفضل السياسة الصحيحة التي انتهجها حزبنا

لتنمية صناعة كيميائية مستقلة وبفضل القيادة الحكيمة للرفيق كيم ايل سونغ نجحنا فعلا في وضع أول منتجات الفينالون بين معروضات المعرض الزراعي الصناعي عام ١٩٥٦ .

وهكذا ارتقينا أول المرتفعات التي أشار اليها الرفيق رئيس مجلس الوزراء لتصنيع وانتاج الفينالون .

وذهبت الى بيونجيانج بعد انقضاء بعض الوقت ومعي تقرير عن أبحاثنا من الفينالون .

وبناء على اقتراح من الرفيق رئيس مجلس الوزراء عقدت اللجنة الدائمة للجنة المركزية للحزب اجتماعا لمناقشة أعمال البحث التي نقوم بها .

وكان لي شرف تقديم التقرير في الاجتماع .

وأنصت الرفيق رئيس مجلس الوزراء الى تقريري عن أعمال البحث وتفسيري لعمليات انتاج الفينالون وتحسس ألياف الفينالون التي جئنا بها الى الاجتماع وسألني تفصيلا عن تكاليف انتاجه واستخدامه وجودته .

وفي فترة الاستراحة لم يهدأ الرفيق رئيس مجلس الوزراء بل راح يفحص المنتجات التجريبية من الفينالون بعناية . ثم استغرق في التفكير العميق لحظة وعاد يسألني من جديد عدة أسئلة تفصيلية .

وفي ذلك الوقت استطعت أن أقرأ على وجه الرفيق كيم ايل سونغ رئيس مجلس الوزراء عاطفة حنان الاب الذي يفكر دائما في امداد أبنائه بثياب أفضل .

ولا أزال أذكر ما قاله في ذلك الاجتماع :

« ان هذا الفينالون الذي يشبه القطن كثيرا ألياف تلقى اقبالا شديدا من جماهير الشعب . ومن هذا النوع نستطيع أن نصنع أنواعا متعددة من الثياب للاطفال والكبار على السواء .

ولكم هو رائع أن نرى جميع أطفالنا مرتدين ثيابا جميلة المظهر ونساءنا في سترات مصنوعة من هذه الالياف !

ولا بد من أن يدخل انتاج الفينالون مرحلة التصنيع في أسرع وقت ممكن لامداد الشعب بثياب جميلة .

وفي الظروف التي تعيشها بلادنا ليس لدينا غير مساحة محدودة للزراعة كما أن زراعة القطن لا تجود بشيء ولا نستطيع السماح لانفسنا بالاعتماد على القطن في حل مشكلة الكساء للشعب .

وأما استخدام الشتل في زراعة القطن فان الاسم نفسه يبدو غير مألوف لنا . وفضلا عن ذلك فهذه الطريقة متعبة وتطلب رعاية شديدة للبذور كفتاة معها شمعة مضاءة وهي تتقدم الى تمثال بوذا .

ويتكلف الفلاحون الكثير من المشقة في هذا العمل ويبذلون الكثير من الجهد ويجب علينا أن نخفف عن الفلاحين ما يعانون من مثل هذه الجهود والامور في أقرب وقت ممكن وأن ننتج منسوجات أكثر جمالا ومتانة من المنسوجات القطنية وأقل منها تكلفة .

« ولهذا يجب أن نبدأ تصنيع الفينالون وأن نمد الشعب بقماش جميل قوي الاحتمال بكميات كبيرة » .

وأخيرا أكد الرفيق كيم ايل سونغ رئيس مجلس الوزراء أكثر من مرة في الاجتماع أن أهم شيء في الوقت الحاضر وفي ضوء الظروف الفعلية التي تمر بها البلاد هو تصنيع الفينالون الذي توجد مواده الخام بوفرة في بلادنا ، ولهذا السبب يجب أن تنجح الابحاث الجارية على مجموع من المشاكل التكنيكية البارزة في هذا الحقل في أسرع وقت ممكن .

وفي الحقيقة فان الرفيق رئيس مجلس الوزراء لم يضع وقتا في بحث كيفية امداد الشعب بثياب أفضل بل انه خلال هذه الاستراحة القصيرة واصل التفكير في نفس الموضوع .

وفي ذلك الوقت أدركت بوضوح أكبر انه كان يلم بعمق بجميع المسائل بصورة تفوق المام أي واحد آخر لانه كان دائما مهتما بأحوال حياة الشعب .

وبعد عودتي من الاجتماع كرست جهدي كله في أعمال البحث بتصميم حازم متجدد حتى أبذل كلما أستطيع من أجل صالح الشعب مستلهما في ذلك أفكار الرفيق كيم ايل سونغ رئيس مجلس الوزراء .

لكن طريقة الابحاث العلمية لم تكن أمرا يسير بسهولة ويسر ومع أننا أقمنا مصنعا تجريبيا تبلغ طاقته الانتاجية ٢٠٠ كيلو غرام يوميا الا أن تقدم تجاربنا لم

يكن مرضيا لنا ٠

ومن هنا بدأ بعض الرفاق يبدون قدرا من التهور ، وغاص البعض الاخر في خضم شعور بخيبة الامل بالرغم منهم وتذمروا قائلين « ماذا فعلنا مقابل الاهتمام الكبير الذي حبانا به الرفيق رئيس الوزراء ؟ » ٠

وبدأ الخوف يظهر من جماعة البحث العلمي في كل عمل يقومون به على مرور الايام ٠

وهكذا كانت أمورنا عندما جاء الرفيق كيم ايل سونغ رئيس مجلس الوزراء شخصيا الينا يوم ٢٤ يونيو ١٩٥٨٠

وجاب أنحاء المصنع التجريبي متفحصا بعناية الآلات والاجهزة ثم ناقش الامور معنا نحن أعضاء جماعة الابحاث العلمية بطريقة واقعية ٠

وسألنا تفصيلا عن أعمالنا في البحث وطلب الينا أن نطلعه على أي مأزق ان كانت لدينا مآزق ٠

وفتحنا قلوبنا للرفيق رئيس مجلس الوزراء الذي كان يرعى أعمالنا في البحث باهتمام يفوق اهتمام أي شخص آخر ٠

وبعد أن سمع الرفيق رئيس مجلس الوزراء كل ما لدينا تحدث عن الاهمية السياسية والاقتصادية بصورة ملموسة لتصنيع انتاج الفينالون وأجال بصره فينا وقال :

« ان المصنع الكيمائي لا يبدو غامضا وسيكون على خير ما يرام عندما يتم توسيع هذا المصنع التجريبي وستتمكن من بناء مصنعنا الخاص للفينالون أيضا اذا بدأنا معركة شعبية شاملة من أجل هذه الغاية ومارسنا العمل بنفس الجرأة التي عالجنا بها موضوع اعادة بناء مصانع هوانجهاي للحديد بعد الحرب ٠ ولن تدخر اللجنة المركزية للحزب جهدا في مساعدتكم في أعمال بحثكم وسأعمل على امدادكم بكل ما تحتاجونه من مواد وأموال٠٠ وهكذا لايشغلكم أي أمر وكونوا جسورين في أعمال بحثكم٠ وما دمتم تعملون من أجل مصنع نموذجي فانه عليكم أن تكملوه على أي نحو ودعونا نرى هذا المصنع يعمل بصورة مرضية صحيحة ٠ فاذا لم يعمل على هذا النحو قمنا بتحسينه ٠

وبهذه الطريقة يجب أن تتموا بحثكم لتصنيع انتاج الفينالون في أسرع وقت ممكن ٠

« وأنا واثق كل الثقة من أنكم ستستطيعون هذا بدون تأخير » ٠

وبعد لحظة صمت التفت الرفيق كيم ايل سونغ رئيس مجلس الوزراء الى الكوادر المحيطة به وقال « دعونا نكفل للسيد لي الحصول على جميع المواد والاحتياجات اللازمة لهم » ٠

وألهمتنا كلماته قوةجديدة جعلتنا أقوياء جسورين٠

وبدا لنا أن طريقا طويلا مفتوحا أمامنا نستطيع أن نمضي فيه خفافا دون عائق بدلا من الدرب الضيق الذي كنا نسلكه خائفين حتى ذلك الوقت ٠

كيف يمكن أن يكون هناك شيء لا نستطيع عمله ما دام الحزب والرفيق رئيس مجلس الوزراء لا يبخلون بشيء علينا في بحثنا ! فلنفكر ولنطبق بجرأة كما يريد لنا الرفيق رئيس مجلس الوزراء واتخذنا هذا القرار الحاسم وبدأنا العمل ٠

ومنذ ذلك الوقت ونحن نحل المشاكل الفنية الهامة واحدة بعد أخرى مما كنا عاجزين عن حلها من قبل بالرغم مما بذلناه من جهود مضنية ٠

وأكملنا تصنيع المعدات لمصنع الفينالون للانتاج على نطاق واسع ووجدنا حلولا لجميع المشكلات التكنيكية المتعلقة بها بفضل الجرأة التي أثارها فينا الرفيق رئيس مجلس الوزراء ٠

وفي ٢٥ مارس ١٩٥٩ جاء الرفيق كيم ايل سونغ رئيس مجلس الوزراء الى سهل ريونجهونج لاتمام مشروع عملي في نطاق المعركة الكبرى من أجل الفينالون ٠

وفي هذه المناسبة أمر بأن يكون سهل رونجهونج هو موقع البناء لمصنع الفينالون وأشار الى بنائه بطريقة واقعية ٠

وبعد أن تحدث معنا نحن العلماء أكد الرفيق رئيس مجلس الوزراء المرة تلو المرة أن خطة البناء التي وضعها صحيحة ٠ ثم ركز حديثه على وجوب بناء مصنع الفينالون الذي تبلغ طاقته الانتاجية عشرين ألف طن بدلا من عشرين آلاف طن ٠

وعندما سألنا اذا كنا نحن العلماء نستطيع ذلك تردد كل واحد منا في الاجابة على هذا السؤال ·

فقد كانت طاقة مصنع الفينالون كما تصورناه في الواقع في المشروع الذي وضعناه عشرة آلاف طن على الاكثر بل ولقد كنا نظن أن هذا قد يكون كثيرا جدا ·

ولكن الرفيق رئيس مجلس الوزراء إستنادا الى حسابه العلمي للمشاكل التكنيكية المعقدة وثقته في قوة الجماهير طلب الينا بناء مصنع ذي طاقة قدرها عشرين ألف طن ·

ونظر الرفيق رئيس مجلس الوزراء الينا نحن العلماء والفنيين وكنا نشعر بالحيرة أزاء العشرين ألف طن ، وأوضح لنا بعبارة واضحة امكانيات بناء المصنع وفي نفس الوقت شرح لنا الاهمية السياسية والاقتصادية للمصنع ·

وفي ذلك الوقت أيضا كالعادة ألهمتنا كلماته بالثقة في النفس وبأننا نستطيع بناء مصنع طاقته الانتاجية عشرون ألف طن ·

وفي الختام أبلغنا الرفيق كيم ايل سونغ رئيس مجلس الوزراء بأن علينا أن نستعد مقدما لحفل كبير احتفالا بالاتمام العظيم لمصنع الفينالون ·

فيالها من ثقة عميقة في النصر كان يحس بها الرفيق رئيس مجلس الوزراء !

ولم نكن واثقين كم من الاعوام يتطلبها انجاز مشروع البناء الكبير · وبالرغم من ذلك فقد قرر الرفيق رئيس مجلس الوزراء الاستعداد لحفل افتتاح عظيم للمصنع في الوقت الذي خصص فيه الموقع لبنائه وهو في الحقيقة يبدأ جميع الاعمال بمثل هذه الثقة الكاملة في النصر ·

وألهمتنا كلماته حول اقامة احتفال باتمام بناء المصنع بالثقة الكاملة في النصر وبينما كنت أنصت له بدت لي أعواد البوص والريح تعبث بها في الحقول كموجات من عشرات الآلاف من الناس يهتفون ويرقصون احتفالا بالانتصار باتمام مصنع الفينالون ·

وبدأت « المعركة الكبرى من أجل الفينالون » تحت القيادة المباشرة للرفيق كيم ايل سونغ رئيس مجلس الوزراء ·

وحفل موقع البناء منذ البداية بالهمة الثورية للبنائين الذين صمموا على تنفيذ المشروع العظيم للرفيق كيم ايل سونغ رئيس مجلس الوزراء في أسرع وقت ممكن ·

وعندما بدأ المشروع وضع الرفيق رئيس مجلس الوزراء شعارا كفاحيا له « كل شيء من أجل بناء مصنع الفينالون » ، وفي هذا وضع خطته على أساس حساب الموضوعين الظروف الموضوعية مثل الانجازات في حقول العلم والتكنولوجيا وقواعد الصناعة الثقيلة القوية وخاصة الاسس المتينة لصناعة بناء الآلات ومدى تقدم العمل التجريبي الذي كان قد خطط له من قبل ، وفي ذلك الوقت أيضا وضع تقديراته على أساس الحساب العلمي لقوانا الداخلية مثل قدرة الحزب على قيادة الجماهير نحو الانتصار الثوري والتصميم غير العادي عند الجماهير لتنفيذ أهداف الحزب حتى النهاية ·

وعلى هذا النحو ركزت قوى الحزب كله والشعب كله جهودها في بناء مصنع الفينالون ·

واستجابة لنداء الرفيق رئيس مجلس الوزراء هب جنود وضباط جيش الشعب والشباب والطلبة وصيادو السمك في البحر الشرقي والفلاحون في سهل يولدوسا متشولي ، ناهيك عن العمال والفنيين في مناطق مختلفة من البلاد كلها بل وحتى ربات البيوت هب الجميع لدعم القوة العاملة في بناء مصنع الفينالون بشتى السبل ·

وقد أثار نداء الرفيق رئيس مجلس الوزراء « كل شيء من أجل بناء مصنع الفينالون ! » مشاعر قلوب أبناء الشعب في أنحاء البلاد ·

وفي سهل ريونجهونج الذي كانت تردد فيه شقشقة العصافير ارتفعت أناشيد البنائين وأصبحت ترتيلا عظيما يردده الشعب كله ·

ولقد أصبحت عملية انتاج الفينالون بسرعة أذهلت العالم أمرا ممكنا ·

بفضل فن القيادة الرائعة والقدرة التنظيمية البارعة والزعامة الحكيمة للرفيق كيم ايل سونغ رئيس مجلس الوزراء الذي يقبض على الحلقة الرئيسية في كل حقبة من البناء الاشتراكي ويركز الجهود عليها وهنا يحل

مشكلة بعد أخرى وفي نفس الوقت يسيطر سيطرة كاملة على سلسلة البناء الاشتراكي كلها ·

وبينما الرفيق كيم ايل سونغ رئيس مجلس الوزراء يتخذ الاجراءات العامة لتركيز جميع القوى على بناء مصنع الفينالون كان يجيء بنفسه الى موقع البناء والى الموظفين والعمال الذين جاءوا من جميع أنحاء البلاد ليعطي توجيهاته الواقعية بشأن كيفية تمويل العمل الحزبي كعمل ابداعي مع الناس ·

وحتى بعد ذلك زار الرفيق رئيس مجلس الوزراء موقع البناء ليلهم ويشجع البنائين ويحل المشاكل المعقدة في موقع العمل نفسه ·

وكانت تعقب كل زيارة يقوم بها لموقع البناء معجزات تذهل العالم ·

وفي موقع البناء حدثت معجزة ، تصب مائة ألف طوبة في ليلة واحدة في كل مكان ، وبنيت مدخنة ارتفاعها أربعون مترا خلال ثلاثة عشر يوما وكانت تستغرق في بنائها اثني عشر شهرا ، وبني برج للتكرير ارتفاعه عشرون مترا خلال عشرة أيام فحسب ·

وبهذه الصورة بدأت تبتدع « سرعة الفينالون » في موقع بناء مصنع الفينالون كما بدأت ملحمة بطولية في عصر حزب العمال ·

هكذا كان الموقف في موقع البناء في سبتمبر ١٩٦٠ عندما داهمني المرض ونقلت بسببه الى المستشفى ·

وبقيت في المستشفى عدة أيام أحسست خلالها بقلق كان لهب التجديدات التي تجري في موقع البناء يحرق ظهري · وأجري لي العلاج الطبي الصحيح وسرعان ما عدت الى مكان عملي من جديد ·

وفي الصباح التالي لاستئنافي عملي جاءني زائر في مكتبي ودخل الزائر حجرتي ثم وضع على مكتبي لفافة كان يحملها معه وقال « هذه هدية مقدمة لك يامستر«لي» من الرفيق رئيس مجلس الوزراء » ·

« ماذا ·· هل تقول ·· من الرفيق رئيس مجلس الوزراء ؟! » لم يكن ذلك أمرا متوقعا قط ·

وسألت الضيف أن يغفر لي ابقائي اياه منتظرا فترة وجريت الى مكتب رئيس لجنة الحزب ·

وعدت الى مكتبي ومعي رئيس لجنة الحزب وأخذت أفض اللفافة في انفعال ·

وعندما أزلت الاوراق البيضاء التي لفت فيها الهدية بعناية ظهر صندوق خشبي وعليه مظروف · وفي داخل المظروف كانت هناك رسالة من الرفيق رئيس مجلس الوزراء بل وبخط يده ، تلك الرسالة التي لم أستطع قراءتها الا بصوت يغلب عليه التأثر العميق لما أثارته من انفعال في نفسي ·

وجاء في الرسالة ما يلي :

« عزيزي مستر لي سونج جي

سمعت منذ بضعة أيام أنك مريض في المستشفى وأرسل لك مع هذا بعض الجذور النباتية التي تلقيتها لتوي من الفلاحين في اقليم كانجوون على أمل أن تكون مفيدة في علاجك من المرض وأرجو أن تكون نافعة في تخليصك من المتاعب ·

٢٥ اكتوبر ١٩٦٠ كيم ايل سونغ

ولا أستطيع بأية كلمة أو كتابة أن أعبر عما شعرت به عندما أتممت قراءة الرسالة ·

وسيطرت على انفعالاتي بصعوبة وقرأت الرسالة كانت كل كلمة في الرسالة التي كتبها الرفيق رئيس مجلس الوزراء بنفسه تعكس لي على التبادل الوجه المشرق الذي ينطق بالعطف وصورته وهو يكتب هذه الرسالة بقلق ·

أشكرك أيها الرفيق رئيس مجلس الوزراء ! ان الكلمات لا تكفي للاعراب عن عرفاني بجميلك ·

أيها الرفيق رئيس مجلس الوزراء ! ، أنا آسف لازعاجك فأنا بخير الآن ، لا تقلق بشأني كثيرا أرجوك فأنا بخير الآن » ·

وأخذت أردد هذه العبارات مرات عديدة بيني وبين نفسي .

وهناك قول كوري مأثور يقول « ان الاكبر يحب الاصغر ولكن الاصغر لا يعطي الاكبر الا ما يثير القلق » ويبدو أن هذا منطبق على حالتي تماما .

كيف أستطيع أن أزعم أن عطفه الكبير واهتمامه اللذين عبرت عنهما الرسالة قاصران علي وحدي .

ان هذا تعبير حي عن مدى تقديره لنا جميعا نحن أعضاء جماعة الابحاث العلمية وجميع العلماء والفنيين في كوريا .

ولم تساعدني الرسالة والجذور النباتية في استعادة صحتي كاملة موفورة فحسب بل لقد جددت شبابي حتى أن الناس قالوا أنني عدت من جديد الى عهد الشباب .

ولم يكن الفضل في استعادتي شبابي راجعا للاثر الطبي للجذور النباتية بل كان سببه العاطفة الصادقة للرفيق رئيس مجلس الوزراء الكامنة فيها .

ومنذ ذلك الوقت ونحن أعضاء جماعة البحث العلمي نسير في عملنا بحيوية أكبر .

٦ مايو ١٩٦١

طلع فجر يوم النصر الكبير الذي توج « معركة الفينالون العظيمة » التي صممها وتولى قيادتها الرفيق كيم ايل سونغ رئيس مجلس الوزراء شخصيا .

ولم أنس أبدا مشاعر ذلك اليوم .

اقترب الرفيق رئيس مجلس الوزراء من الشريط الاحمر المشدود وقد تألق وجهه بفرحة النصر .

وارتفعت صيحة الفرح مدوية وانتشرت على الناس قصاصات الاوراق الملونة كما يحدث في الافراح والاعياد وارتفعت الاناشيد .

فيا لها من لحظة رائعة !

وعندما قص الرفيق كيم ايل سونغ رئيس مجلس الوزراء الشريط ارتفعت الهتافات التي تصم الآذان في جميع الانحاء .

ثم التفت الي وقال باسما :

« هذا هو اليوم الذي تحقق فيه حلمك الاثير يا مستر لي » .

وفي هذه اللحظة السعيدة مرت أمام ناظري كل أحداث ومصاعب الماضي كشريط سينمائي سريع .

ففي عام ١٩٣٩ سجلت نجاحا في أبحاثي عن الفينالون ولكني تخليت عنها في منتصف الطريق لاني لم أكن ذا وطن .

وكنت استجوب بوحشية « تهمة رفض الاشتراك في أبحاث العلم المدمر في اليابان .

ثم اضطررت في كوريا الجنوبية في ظل الاحتلال الامريكي الامبريالي الى التخلي عن أبحاثي العلمية لعجزي عن الحصول على أبسط أجهزة الاختبار .

« مثل تلك الايام لن تعود ما دمت في أحضان الحزب والرفيق رئيس الوزراء » .

ورفعت رأسي وقلت لنفسي وأنا أنظر الى الجموع الهاتفة :

يا رفاق ! عندما يكون عندكم قماش فينالون يجب أن تأخذوا ذلك قضية مسلما بها . ولا يخطر ببالكم أن أي عالم أو فني أو بضعة عمال قد صنعوه لكم .

لا تنسوا أن الفينالون يحمل حبا أعمق من البحر وأعلى من الجبل ، حب الرفيق كيم ايل سونغ رئيس مجلس الوزراء .. حب الاب الذي يريد لأبنائه ثيابا أفضل

وفي المستقبل البعيد عندما يسألكم أبناؤكم عن تاريخ الفينالون قولوا لهم قصة حزب العمال الكوري الذي أسسه وقاده شخصيا الرفيق كيم ايل سونغ بدلا من أن تذكروا لهم اسم عالم أو فني .

وعندئذ سيعرفون كيف ظهر الفينالون في عصرنا !

رسائل الأصدقاء

الاخ الاديب مدحة عكاش :

أخوة الحرف أهابت بي أن أوجه هذه الكلمة اليك أنت يا من طهرت بنار العروبة المقدسة قلبك وفمك لتبدع حرفا وتنتقي حرفا وتنشر حرفا ·

ولقد رصدنا منذ ربع قرن ونيف ما عانيت في سبيل لغتك وتراث أمتك الخالدة فعلى كل حرف مزق من شبابك وشعل من آلامك والف لون من دمك ·

أبحرت حتى بدون مجذاف وكان ايمانك الشراع الذي ما فتىء يرود شطآن الحقيقة والجمال · فكان لما سلطت عليه الضوء من شعر شعرائنا الفحول أبعاد في تركيز وتقديس الاصالة وما نشرت من شعر شبابنا الناشيء تشجيع للكلمة المموسقة الفتية ·

واذ تنصرم السنة الادبية من عمر مجلتك الغراء فتدخل في خضم الدهور ويتلقفها التاريخ وتأخذ بناصية اختها المقبلة اقدم لكما اعمق مشاعري ارفقها بتحية اكبار للوزير الثائر وزير الاعلام الاستاذ أحمد اسكندر أحمد لما قدمه لزورق المجلة من عون في لجة السنة الادبية المنصرمة وحق عليك أن تكتب على الشراع ـ مرحى لنصير الحرف ومرحى لمن انتقاه ·

اصافحك من طرطوس لؤلؤة الشاطيء مهنئا لعله يبقى على أناملي طيب بردى وشموخ قاسيون واسلم ·

لاخيك ـ ابراهيم منصور المحامي

الى الاستاذ مدحة عكاش :

لأنت حامل لواء الادب في قطرنا · سقط الكثيرون وبقيت وحـدك على الدرب ··· ولئن احتجبت مجلتك الحبيبة « الثقافة الشهرية » ، قبل سنوات ، الا أنك صبرت على كيد الكائدين صبر الكرام · ما سلوتها ، وانما تتوكأ على وليدتها « الثقافةالاسبوعية » تهملها حينا وتعتني بها حينا ، الى أن قيض لك من انصفك ، اذ بعثت « الثقافة الشهرية » من مرقدها ، في العام الفائت ، حيث تلقفتها الايدي ، ومتحها الادباء ، من كل جانب ، يسكبون فيها عصارة افئدتهم وذوب قلوبهم وزبدة تفكيرهم ، بعقول ناضجة مستنيرة ·

فسار خبرها في العالمين ، وشاع صيتها في قطرنا المغربي ، فأقبل أدباؤه ، يمجدون سيرة « ابن زيدون » على صفحاتها ، يخصونها بالكثير الكثير من نتاجهم ـ وقد كان خافيا على ادباء المشرق ـ فكان اللقاء الفكري الذي سيكون بشيرا بوحدة الامة العربية وجمع شملها بعد شتات ·

فتقبل ، ، يا أبا عاصم ، ثمين محبتي ومودتي ، بمناسبة مرور عام كامل من عمرها ، وتحية تقدير للاستاذ أحمد اسكندر أحمد وزير الاعلام الذي كان له القدح المعلى في نشرها وسلام لكل من ساهم في تحريرها وآزر في طبعها ·

مصياف ـ مصطفى الخش

أستاذي مدحة عكاش

زملائي أسرة التحرير ··

تحية وبعد ،

فقد وصلني العدد الخاتم للسنة الاولى من مجلة الثقافة ، ذلك العدد الذي سويت بعضه بيدي ، وشاركت في بعضه الآخر قارئا ، فاعلا منفعلا في آن معا · رأيت العدد غنيا بموضوعاته ، رفيعا باخراجه ، فكان على صورة يحبها القارىء العربي ويألفها ، ولكنه ما يزال يأمل أن تصير الى حال اجود في الشكل والمحتوى معا ·

لقد قدر لي ـ في المجلد الاول كله ـ أن أشاطركم أفراحكم حين ترون العدد كما تتمنون ، وآلامكم حين ترون فيه عوجا سهوتم عنه · وأشهد أنكم كنتم دوما غير راضين عما سلف من أعداد ، كما كنتم دائمي العمل على اخراج أعداد تليق بالثقافة السورية وبمثقفيها · وقد كان رائدكم ـ فيما أعلم ـ وزير الاعلام الاستاذ أحمد اسكندر أحمد ، اذ بارك خطوتكم حين بدأت ، وما فتىء يلاحق هذه الوليدة مرشدا وراعيا ، فله مني ، نيابة عنكم ، شكر الثقافة والمثقفين ، ولكم ، أنتم ، رجائي أن تكون أعداد السنة القابلة أكثر جودة وتنوعا وشمولا ·

سمر روحي الفيصل